التناسب في سورة الانعام

دراسة تطبيقية

الأنعام

اسماعيل كمر محمد زكريا العكيدي



التناسب في سورة الأنعام

دراسة تطبيقية



المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
(2019/3/1066)

العكيدي، اسماعيل كمر
التناسب في سورة الانعام دراسة تطبيقية/ اسماعيل كمر العكيدي- عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع 2019
(   ) ص.
ر. ا. : (2019/3/1066)
الواصفات: / سورة الانعام// القرآن الكريم/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعتبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية آخرى.

دار غيداء للنشر والتوزيع
تلاع العلي – شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس : 5353402 6 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
www.darghaidaa.com
مجمع العساف التجاري – الطابق الأول
خلوي : 95667143 7 962+
E-mail: darghidaa@gmail.com
E-mail: info@darghaidaa.com

التناسب في سورة الأنعام

دراسة تطبيقية

اسماعيل كمر محمد زكريا العكيدي

الطبعة الأولى

2020 م



الفهرس

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادة تنجيني من النيران، وتنفعني يوم العرض على الواحد الدَّيَّان، أما بعد.

فقد أنزل الحق سبحانه وتعالى كتابه الكريم على نبيه محمد ﷺ بلسان عربي مبين، وأسلوب حكيم خارج عن قدرة البشر، ونمط رفيع فيه عبرة لمن اعتبر، وقد تحدى الخلق أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك، وبخاصة العرب الذين هم أهل الفصاحة والبلاغة والشعر.

والتحدي والإعجاز قائم إلى يوم القيامة في كل المجالات، وعجائبه لا تنقضي على جميع الأصعدة وفي كل الأزمنة، ومن بين ذلك عجيب جمله وكلماته، وتناسب آياته وموضوعاته، ولذلك نجد كثيراً من أهل العلم –قديماً وحديثاً- قد عمدوا إلى دراسةالتناسب والتناسق والترابط بين كلمات القرآن وآياته وسوره، وظلت تلك الدراسات تتوالى حتى أظهرت لنا فناً من فنون التفسير هو "علم التناسب"، فهو علم قديم في مضمونه، جديد في عرضه، فقد كان منثوراً في كتب المتقدمين وبخاصة كتب التفسير إلى أن جاءت الدراسات المعاصرة فكان لها نصيب واضح، وحظ وافر من هذا العلم .

أما أسباب اختيار الموضوع. فهي عدَّة أسباب، منها: أن سورة الأنعام تهدف إلى إبراز العقيدة الصحيحة ومباحثها الأساسية كالرسالة، والتوحيد، والبعث، وغير ذلك، وهو ما يستدعي دراستها دراسة عميقة.

خطة الكتاب:

وقد اشتملت خطة الرسالة على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وكما يأتي:

التمهيد: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مدخل إلى سورة الأنعام.

المبحث الثاني: علم التناسب: مفهومه، ونشأته، وأهميته.

الفصل الأول: التناسب الداخلي والخارجي، والفاصلة القرآنية في سورة الأنعام، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: أنواع التناسب الداخلي في سورة الأنعام.

المبحث الثاني: التناسب الخارجي في سورة الأنعام.

المبحث الثالث: التناسب بين سورة الأنعام وسور أخرى من القرآن الكريم.

المبحث الرابع: الفاصلة القرآنية في سورة الأنعام.

الفصل الثاني: التناسق الموضوعي والوحدة الموضوعية في سورة الأنعام

المبحث الأول: التناسق الموضوعي في سورة الأنعام.

المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية في سورة الأنعام.

الفصل الثالث: دراسة تطبيقية لـ "التناسب" في سورة الأنعام من حيث علاقاته اللغوية والبلاغية.

المبحث الأول: التناسب في سورة الأنعام من حيث علاقاته اللغوية.

المبحث الثاني: التناسب في سورة الأنعام من حيث علاقاته البلاغية "علم المعاني".

المبحث الثالث: التناسب في سورة الأنعام من حيث علاقاته البلاغية "علم البديع".

أما الخاتمة فقد: تم فيها عرض أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث مع بعض التوصيات.

وقد سلكت في البحث المنهج الاستقرائي الانتقائي التحليلي الذي يقوم على استقراء مواضع التناسب في سورة الأنعام واستخراجها من مصادرها المتنوعة ككتب التفسير، وكتب اللغة، وكتب علوم القرآن، وغيرها، ثم انتقاء نماذج منها، ثم تحليلها تحليلاً على وفق قواعد التناسب وأصوله في النص القرآني وصولاً إلى النتائج الممكنة.

أما الصعوبات التي واجهتني في إعداد الكتاب فعديدة، أهمها:

وجود مادة التناسب متناثرة في مصادرها المتنوعة مما شكل صعوبة في جمعها والإحاطة بها، ومنها: صعوبة التواصل مع المشرف على الرسالة، ومنها: الظروف التي يمر بها بلدنا العزيز، وبخاصة مدينتنا الموصل مما عكر صفاء الذهن وأورث إرباكاً في التفكير ومواصلة الكتابة وفتور الهمة في كثير من الأحيان.

وبعد: فهذا جهد المقل، ورأي من يقول القول اليوم ويغيره غداً، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده وما كان فيه من خطإٍ فمن نفسي، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

المبحث الأول

مدخل إلى سورة الأنعام

المطلب الأول:- اسمها وترتيبها وعدد آياتها وكلماتها وحروفها سورة الأنعام كلها مكية إلا ست آيات منها نزلت في المدينة[1].

أما ما يخص اسم السورة فليس لها إلاّ هذا الاسم؛ لما روي عن عبد الله بن عمرﷺ انه قال: قال رسول الله ﷺ: (نزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة وشيّعها سبعون ألفاً من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد)[2]؛ ولما ورد عن عمر بن الخطاب (ت13هـ)، وابن مسعود (ت32هـ)، وابن عباس (ت68هـ)، وأسماء بنت يزيد بن السَّكن (70هـ)، وجابر بن عبد الله (ت78هـ)، وأنس بن مالك (ت93هـ)، بأن اسمها: سورة الأنعام . وكذلك ثبتت تسميتها بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير والسنّة [3].

أما سبب تسميتها بهذا الاسم فلما تكرر فيها من ذكر لفظ الأنعام؛ فقد ورد ذكر "الأنعام" فيها ست مرات[4]. وأما ترتيبها في النزول فهي السورة الخامسة والخمسون بعد سورة الحجر وقبل سورة الصافات، وأما ترتيبها في المصحف فهي السورة السادسة وسورة الأنعام من السور الطوال، نزلت على قلب النبي ﷺ بمكة ليلاً لنقض عقائد الشرك وإبطالها وتقرير العقيدة السليمة وترسيخها وكان نزولها في مرحلة الجهر بالدعوة التي واجهها رؤوس الكفر وصناديد الضلال بالصدود والإعراض والتكذيب والاستهزاء

---

(1) وهي الآيات: (91-92-93)، والآيات (151-152-153).

(2) المعجم الصغير: للطبراني: باب من اسمه إبراهيم، رقم الحديث: 220، تح: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، ط1، 1985م، (1/ 145).

(3) ينظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، ط1، 1420ه-2000م مؤسسة التاريخ، بيروت (5/6).

(4) وذلك في الآيات (136، 138، 139، 142). ينظر: م، ن (5/6).

والمطالب التي تنم عن تعنتهم وإصرارهم على الكفر مهما عاينوا من آيات، نزلت هذه السورة جملة واحدة على غير المعتاد في السور الطوال؛ لتكون دفعة واحدةبحججها، وبراهينها القاطعة، وآياتها المتتابعة، التي تُرهف الآذان، وتخاطب الوجدان، وتحاور العقول الساطعة، وتصل إلى القلوب[1]. وأما عدد آياتها فقد اختلف القراء في ذلك فهي مئة وخمس وستون آية في العد الكوفي، وست في البصري والشامي، وسبع في الْمَدَنِيين والمكي، وكلها حجاج على المشركين. وأما عدد كلماتها فهو ثلاثة آلاف واثنتان وخمسون كلمة، وأما عدد حروفها فهو اثنا عشر ألفاً وأربعمائة وعشرون حرفاً[2].

المطلب الثاني : فضلها

ورد في فضل سورة الأنعام أقوال منها:

ما ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: " الأنعام من نواجب [3] القرآن" [4].

ومنها ما جاء في صحيح البخاري أن ابن عباس قال: " إذا سرك أن تعرف جهل

(1) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القران الكريم: إعداد: ا.د عيادة الكبيسي، ا.د احمد البدوي، ا.د عبدالله الخطيب، د.محمد عصام القضاة، وآخرين، بإشراف ا.د مصطفى مسلم، إصدار رقم (102)، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط1، 1431ه- 2010م، (393/2).

(2) ينظر: البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني، تح: غانم قدوري الحمد، ط1، 1994م، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، (151/1).

(3) نواجب القرآن: (أفضله ومحضه)، القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط3، 1426هـ ــ 2005م، بيروت ـــ لبنان (136/1)، (النجيب).

(4) مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن: باب: فضائل الأنعام والسور، رقم الحديث، 3444، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، ط1، 1412ه- 2000م، (2141/4)، قال المحقق: "إسناده جيد إلى عمرﷺ وهو موقوف عليه".

العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام(قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْـمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللـهُ افْتِرَاء عَلَى اللـهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ) [1] " ما فـوق الثلاثـين ومائـة "، أي الآيات التي تبين جهلهم وفعلهم وترد عليهم وهي من136- 150[2]، وقد نقل الرازي[3] قول الأصوليين في فضلها بقوله: " قال الأصوليون: هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة.

أَحدهما: أَنها نزلت بالليل دفعة واحدة.

والثاني: أَنها شيعها سبعون أَلفاً من الملائكة، والسبب فيه أَنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين، وذلك يدل على أن علم الأصول في غاية الجلالة والرفعة، وأيضا فإنزال ما يدل على الأحكام قد تكون المصلحة أن ينزله اللـه تعالى قدر حاجتهم، وبحسب الحوادث والنوازل. وأما ما يدل على علم الأصول فقد أنزله اللـه تعالى جملة واحدة، وذلك يدل على أن تعلم علم الأصول واجب على الفور لا على التراخي "[4]. وقد نبّه القرطبي(ت671ه)، بأن العلماء ذكروا بأن هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور،

(1) سورة الأنعام: 140.

(2) صحيح البخاري : كتاب المناقب، باب، قصة زمزم وجهل العرب، رقم الحديث: 3334، تح: مصطفى ديب البغا، دار بن كثير، اليمامة ــ بيروت، ط3، 1407هـ ـ 1987م، (1297/3).

(3) هو: أبو عبداللـه محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بـ " فخر الدين الرازي " خطيب الري، صاحب التصانيف، ولد سنة(544ه) اشتغل على والده الإمام ضياء الدين عمر، انتشرت مصنفاته في الآفاق ومنها " المطالب العالية " و " نهاية العقول " وتفسير " مفاتيح الغيب " وغيرها كثير، توفي يوم عيد الفطر بهراة سنة(606ه). ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبداللـه بن قايماز الذهبي(ت748ه)، تح: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م، (137/13).

(4) مفاتيح الغيب: (471/12) .

وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة لأنها في معنى واحد من الحجة وإن تصرف ذلك بوجوه كثيرة، وعليها بنى المتكلمون أصول الدين، لأن فيها آيات بيِّنات ترد على القدرية[1]. ومنها ما ورد عن عبد الله بن رباح (ت91-100هـ)، قال: " سمعت كعبا"، قال: " فاتحة التوراة الأنعام، وخاتمتها هود"[2].

المطلب الثالث: أهدافها ومقاصدها

علمنا أن سورة الأنعام من السور المكية، وغالباً ما تتحدث السور المكية عن الأمور العقدية إذهي من السور العقدية، فقد كرس الحديث فيها عن قضية واحدة لا تتغير ولكن الأسلوب في عرضها لا يتكرر وهي قضية التوحيد التي هي القاعدة الأساس لهذا الدين[3]

قال السيوطي: " لما كان المقصود من هذه السورة بيان الخلق والملك، أكثر فيها من ذكر الرب الذي هو بمعنى المالك والخالق والمنشئ، واقتصر فيها على ما يتعلق بذلك من بدء الخلق الإنساني والملكوتي، والملكي والشيطاني، والحيواني والنباتي، وما تضمنته من الوصايا، فكلها متعلق بالقوام والمعاش الدنيوي "[4]. وهي أشمل سور القرآن لأحوال

---

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي(ت671ه)، تح: احمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ 1964م، (383/6)؛ " والقدرية ":هم جماعة أنكروا الصراط والميزان والكرسي، وسؤال منكر ونكير، وقالوا: ليس للنبي ﷺ يوم القيامة شفاعة ولا حوض؛ ينظر: المختار في أصول السنة، الإمام أبي علي الحسين بن أحمد بن عبدالله بن البنا الحنبلي البغدادي، (ت471هـ)، تح : عبد الرزاق عبد المحسن البدر، دار العلوم والحكم، ط2، 1425ه، (98/1).

(2) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور، رقم الحديث: 3445، (2141/4)، إسناده صحيح إلى كعب وهو موقوف عليه.

(3) ينظر: الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام، الدكتور: محمد بن احمد الصالح، مجلة البحوث الإسلامية، العدد، 44، 1415ه -1416ه (309،310/44)

http://www.alifta.net/Fatawa/fatawaDetails.aspx?languagename=ar&BookID=2&View=Page&PageNo=6&PageID=6256

(4) تناسق الدرر في تناسب السور، للسيوطي، دراسة وتحقيق، عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1،1986م، (84).

العرب في الجاهلية، وأشدها مقارعة جدال لهم واحتجاج على سفاهة أحوالهم من قوله ﷻ: (وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ) [1]. وفيما حرّموه على أنفسهم مما رزقهم الله[2].

وهناك أهداف ومقاصد كثيرة تتضمنها السورة المباركة، ونقتصر على عدد منها بما يأتي:-

1 - تقرير وحدانية الله تعالى - وما يجب له من صفات الكمال، وهدم عقيدة الشرك، وتقويض أركانه. بالحجة والبرهان[3].

2- تسلية الرسول بما أصاب الرسل قبله من سخرية أقوامهم بهم وتكذيبهم إياهم، وتهديد مكذبي الرسل بمثل عاقبة المكذبين قبلهم[4]. (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ) [5]

3- تبشير المسلمين بالنصر والفرج، ورفع معنوياتهم، وشحذ عزائمهم، وتعليمهم الحجة في الاحتجاج لما معهم من الحق، والحجة في جهاد أهل الباطل[6].

---

(1) سورة الأنعام: 136.

(2) سورة الأنعام: 136؛ وينظر: التحرير والتنوير: (8/6).

(3) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط3، 1993م، (3/ 1192).

(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : (3/ 1193).

(5) سورة الأنعام: 34.

(6) شخصية سورة الأنعام، بقلم الدكتور صلاح الخالدي من موقع مجلة الفرقان،إصدار جمعية المحافظة على القرآن الكريم http://www.hoffaz.org/alforqan/details.php?id=584

4- بينت فقدان الكفار لميزات الإنسانية، وأن المعرضين عن النبي ﷺ هم أشبه بالموتى، فلا يستجيبون، كقوله تعالى: (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) [1]. وهم صم وبكم في الظلمات؛ وتهددهم بالإبادة إن استمروا على كفرهم[2]: (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللـهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) [3].

5- العودة إلى دعوتهم إلى الإيمان بكتاب الله بصورة محببة[4]، وذلك بقوله تعالى في أواخر السورة: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [5].

6- إبراز حقيقة البعث، وإقامة الأدلة عليها، والكلام على الجزاء فيها، ووعد المؤمنين بمزيد الثواب، ووعيد الكافرين بشديد العقاب[6].

7- رسم معالم الدين الحق، ومناهج السلوك الفاضل. وأعظمها: الإيمان باللـهِ، وتصديق الرسل، والإصلاح في جميع الأعمال[7]:(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) [8].

8- اشتملت السورة على أنه تعالى، كتب على نفسه الرحمة لمن تاب؛ قال

---

(1) سورة النمل: 80.

(2) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (3/ 1194).

(3) سورة الأنعام: 47.

(4) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (1194/3).

(5) سورة الأنعام: 155.

(6) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: (1194/3).

(7) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (1197/3).

(8) سورة الأنعام : 48.

تعالى:(وَإِذَاجَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [1].

إلى غير ذلك من عظائم الأمور، التي احتوتها هذه السورة الجليلة، التي تعد أَعظم دستور للحياة المثلى، والسلوك النظيف، والعقيدة الصحيحة. والتي يرتقي بها المسلم إلى أعلى الدرجات عند الله ﷻ بمنِّه وفضله سبحانه وتعالى. وكان نزولها بمكة، في صدر الإِسلام، حكمة من صنع الحكيم الخبير[2].

والخلاصة: إن أهداف سورة الأنعام، أهداف: تعليمية، وتوجيهية، وحركية، وجهادية، وتربوية. وهي نفسها الأهداف الأساسية للقرآن الكريم[3].

---

(1) سورة الأنعام: 54.

(2) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (3/ 1197).

(3) شخصية سورة الأنعام، بقلم الدكتور صلاح الخالدي من موقع مجلة الفرقان، إصدار جمعية المحافظة على القرآن الكريمhttp://www.hoffaz.org/alforqan/details.php?id=584

المبحث الثاني

علم التناسب: مفهومه، ونشأته، وأهميته

المطلب الأول: مفهوم التناسب لغة واصطلاحا.

أولا: مفهوم التناسب لغة: تقاربت تعريفات أصحاب المعجمات اللغوية على أن المناسبة تعني المقاربة أو المشاكلة بين شيئين وما شابه ذلك .

والنسب واحد الأنساب والنسبة بكسر النون وضمها واحد، ورجل نسابة، أي : عارف بالأنساب ، وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه، أي: قريبه وبينهما مناسبة، فهو يشاكله[1].

والنسب: اتصال شيء بشيء. منه النسب، سمي لاتصاله وللإتصال به، تقول:نسبت أنسب ، وهو نسيب فلان. [2]

والمناسبة: هي المشاكلة أو المقاربة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل[3].

والنسب: نسب القرابات وهو واحد الأنساب. وجمع النسب أنساب. وانتسب واستنسب: ذكر نسبه، وقيل النسب في الآباء خاصة[4]. والنسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الوالدين، وهو نوعان، نسب بالطول كالاشتراك من الآباء والأبناء، ونسب

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين - بيروت، 1987م، (224/1)، (نسب).

(2) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)،1399ه ــ 1979م (423/5) (نسب).

(3) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي: تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، (د،ط)، 1414ه-1994م، (430/2)، (نسب).

(4) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: (د، ت)، دار صاد بيروت، ط3، 1414هـ (755/1)، (نسب).

بالعرض كالنسبة بين الإخوان وبين الأعمام[1].

ثانيا: مفهوم التناسب اصطلاحا:

هناك عدة تعريفات لمصطلح التناسب ذكرها العلماء نذكر عدداً منها.

وقد نقل الزركشي[2] (ت794هـ) عن القاضي أبي بكر بن العربي[3] في كتابه " سراج المريدين" قوله: " ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني "[4].

وعرفه الأمام البقاعي[5] بقوله: " علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر

---

(1) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق ــ بيروت، ط1، 1412ه، (801/1)، (نسب).

(2) الزركشي: محمد بن بهادر عبدالله بدر الدين أبو عبدالله المصري الزركشي أخذ عن الشيخين جمال الدين الإسنوي وسراج الدين البلقيني، من مؤلفاته " البرهان في علوم القرآن" و " تكملة شرح المنهاج الإسنوي "، توفي سنة (794ه) ؛ ينظر: طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، تح: د. حافظ عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1407ه، (168/3، 176) .

(3) ابن العربي العلامة الحافظ القاضي، أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد الأشبيلي ولد سنة (468هــ)، ورحل إلى المشرق وسمع من طراد الزينبي، وتخرج على يد أبي حامد الغزالي، وجمع وصنف وبرع في الأدب والبلاغة، ولي قضاء أشبيلة وكان ذا شدة وسطوة، مات بفاس في ربيع الآخر سنة (543ه)؛ ينظر: طبقات الحفاظ، السيوطي، (د،ت)، ط1، 1403هــ دار الكتب العلمية ــ بيروت، (469/1)، برقم (1046).

(4) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1957م، (36/1).

(5) البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي برهان الدين أبو الحسن، العلامة المحدث الحافظ ولد سنة (809ه) تقريبا، وأخذ القراءات عن أبن الجزري وغيره والحديث عن ابن حجر، والفقه عن التقي بن قاضي شهبة. له تصانيف كثيرة منها " الجواهر والدرر في مناسبة الآيات والسور " و " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " توفي (885هـ)؛ ينظر: نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي، تح : فيليب حتي، (د،ط)، المكتبة العلمية ــ بيروت (24/1).

البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال "[1].

وذكر السيوطي من ضمن إعجاز القرآن الكريم الوجه الرابع منها وهو: "مناسبة آياته وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني "[2].

والمراد بالمناسبة: " وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة "[3].

وفي الاصطلاح أيضاً: " هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه. وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[4]. وعند البلغاء: التناسب، الترتيب للمعاني المتآخية التي تتلائم ولا تتنافر[5]

المطلب الثاني: نشأة علم التناسب

إن الكلام على ظهور علم التناسب، ونشأته وتطوره والمراحل التي مر بها من الأمور المهمة في التعرف على هذا العلم الجليل ومعرفة الظروف التي أحاطت به وأثرت عليه.

وعلم التناسب بعدّه جزءاً من علوم القرآن قد لقي اهتماماً كبيراً في هذا الزمن؛

---

(1) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي، (د.ت) مكتبة المعارف ـ الرياض،ط1،1987م، (142/1).

(2) معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي، (د. ت)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م، (43/1).

(3) مباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان (ت1420هـ)، ط3، 2000م، مكتبة المعارف، (96/1).

(4) مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم، ط4، 2005م، (58/1).

(5) ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة والبديع والبيان والمعاني: إعداد: الدكتورة إنعام فوال عكاوي، ط2، 1996م، دار الكتب العلمية، بيروت، (430).

حيث كتب الدارسون في تاريخه في دراساتهم التي تناولته قديماً وحديثاً.[1] وعلى هـذا الأسـاس يمكـن تقسيم نشأة علم التناسب إلى نوعين:

الأول: الذين تكلموا في تاريخه وأصوله ونشأته:

فمن أوائل من تكلم في تاريخ هذا العلم الزركشي؛ إذ ذكـر بـأن أول مـن أظهـر هـذا العلـم ببغداد هو الشيخ أبو بكر النيسابوري(ت324هـ)، قال: " وقال الشيخ أبو الحسن الشهراباني أول مـن اظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره وهو الشيخ أبـو بكـر النيسـابوري وكـان غزيـر العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنـب هذه؟ وما الحكمة من جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يزري على علماء بغـداد لعـدم علمهم بالمناسبة "[2].

ومن الذين تكلموا في تاريخ هذا العلم: الإمام السيوطي (ت 911هـ) إذ كتب مباحث واسعة في ذلك، وذكر كلاماً مشابهاً لكلام الزركشي، إذ ذكر أيضاً أن أول من سبق إلى هذا العلم، ببغداد هـو النيسابوري المذكور آنفاً[3]. غير أن الزركشي والسيوطي وعدداً ممن ذكروا النيسابوري لم يذكروا عـن النيسابوري أي شيء يعرِّف به وبقي هذا الرجل غير معروف إلى هذا العصر[4].

ومـن المحـدثين الـذين تكلمـوا في هـذا المجـال الـدكتور نـور الـدين عـتر: إذ ذكـر أن التصـنيف لمؤلفـات مفـردة في علـم التناسـب جـاءت متـأخرة ، وأول كتـاب يصـلنا في هذا العلم الجليل هـو كتـاب "البرهـان في تناسـب سـور القـرآن" للعلامـة الشـيخ أبي جعفـر بـن الـزبير(708هــ)؛ ثـم جـاء بعـده البقـاعي (ت885هــ) فصـنف كتابـاً ضـخماً في علـم

---

(1) ينظر: أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، د. عبد الحكيم الأنيس، مجلة الأحمدية، العدد الحادي عشر، 2002م، (15،16)، (بحث).

(2) البرهان في علوم القرآن، (36/1).

(3) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، (1/ 43 -44).

(4) ينظر: أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، (20)

التناسب[1].

الثاني : ومن المفسرين الذين ذكروا التناسب في تفاسيرهم الزمخشري[2]، إذ قال في تفسيره : " وهذه الأسرار والنكت، لا يبرزها إلا علم النظم، وإلا بقية محتجبة في أكمامها "[3].

ويعد الرازي (ت 606هـ) من الذين توسعوا في دراسة علم التناسب في تفسيره ، إذ يقول الدكتور نور الدين عتر: " إنه أكثر منه وتوسع فيه حتى أنه كثيراً ما يورد أوجها في المناسبة بين السورة ومقابلها وبين الآية ومقابلها، ولا يكتفي بوجه واحد، فكان ذلك فتحاً واسعاً لباب المناسبة"[4].

ومن المفسرين الذين ذكروا التناسب في تفاسيرهم، وكان لهذا العلم مجال واسع في تفاسيرهم الإمام " أبو الحسن علي بن احمد الحرالي (ت637ه) " وله " تفسير " ذكر فيه المناسبات، أثنى البقاعي(ت885ه) عليه في مقدمة تفسيره؛ إذ قال: " ثم بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءاً من تفسيره " فيه من أوله إلى(إِنَّ اللَّـهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ

(1) ينظر: علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، د. نور الدين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط1، 2011م، (28، 29).

(2) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام المفسر الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره، تشد إليه الرحال، وصنف التصانيف البديعة : منها " الكشاف " في تفسير القرآن العزيز، و " الفائق " في تفسير الحديث، و " أساس البلاغة " وغيرها، كان قد سافر إلى مكة،حرسها اللـه تعالى، وجاور بها زمانا، فصار يقال له " جار اللـه " لذلك، وكان هذا الاسم علما عليه. توفي سنة (538هـ)، بجرجانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة؛ ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الإربلي، تح: إحسان عباس، دار صاد بيروت، ط1، 1994م، (168/5، 169، 173).

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه، الدكتور فتحي عبد الرحمن احمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م، (5 /311).

(4) علم المناسبة وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، د. نور الدين عتر، (28).

إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ) [1].

فرأيته عـديم النظـير .... " [2]. وأثنـى عليـه المنـاوي (ت1031ه) في ترجمتـه لـه إذ قـال: " وصنف تفسيراً ملأه بحقائقه، ودقائق فكره، ونتائج قريحته، وأبدى فيه من مناسبات الآيات والسور ما يبهر العقول وتحار به الفحول، وهو رأس مال البقاعي.... " [3] . ومنهم الإمام أبو عبدالـلـه محمد بن عبدالـلــه الأنـدلسي المـرسي (ت655ه)[4] ولـه ثلاثـة تفاسـير، كبـير ووسـط وصـغير، والكبـير في " عشرين مجلداً قصد فيه ارتباط الآيات بعضها ببعض وبيَّن وجوهه" واسـم تفسـيره " ري الضـمآن في تفسير القرآن "[5].

وخلاصة الكلام إن بداية هذا العلم غير واضحة تمام الوضوح، ولاسيما بقاء كثير من مصـادر التفسير وعلوم القرآن التي بحثت في علم التناسب مخطوطة بعيدة عن أيدي المفسرين ، وهذا أمـر عجيب عن أمة القرآن[6].

---

(1) سورة: آل عمران: 33.

(2) نظم الدرر: البقاعي، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، 2011م، (1/ 7).

(3) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: المناوي، تح: محمد أديب الجـادر، دار صـاد، بـيروت، (د، ط)، (2 /465).

(4) الإمام العلامة البارع القدوة المفسر المحدث النحوي ذو الفنون، شرف الدين أبو عبدالـلـه محمد بن عبدالـلــه بن أبي الفضل السلمي المرسي الأندلسي، ولد : بمُرسية في أول سنة سبعين أو قبل بأيام ؛ سـمع " الموطـأ " مـن المحدث: أبي محمد عبيدالـلـه الحجري سنة تسعين وخمس مائة، وكان متضلعاً في العلم، جيـد الفهـم، متـين الديانة، وسمع من الأربلي الذهبي (السنن الكبير) كله، زاهد متورع كثـير العبـادة، ولـه كتـاب " الضـوابط " توفي سنة(655ه) في منتصفه بالعريش وهو متوجه إلى دمشق فدفن بتل الزعقـة؛ ينظـر: سـير أعـلام النـبلاء، للذهبي، تح: د. بشار عـواد معـروف، د. محيـي هـلال السرحـان، ط11، 1417ه- 1996م، مؤسسـة الرسـالة، (312/23- 318)، برقم (220).

(5) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، (د،ت)، دار إحياء التراث العربي- بـيروت، (د، ط)، (458/1).

(6) ينظر: أضواء على علم المناسبة القرآنية: (57).

وقد وقع خلاف بين العلماء بوقوع التناسب في القرآن أو عدم وقوعه إلا بشروط، وابرز الذين قالوا بوقوعه : الرازي[1]، والزركشي[2]،

والبقاعي[3]، والسيوطي[4]، وغيرهم، ومن المحدَثين: محمد عبد العظيم الزرقاني[5] (ت 1367هـ)، وغيره، وذكروا أن ذلك يعد وجها من وجوه إعجاز القرآن .

أما الذين قالوا بعدم وقوعه فأبرزهم: عز الدين بن عبد السلام[6]، (ت660 هـ)، والإمام الشوكاني[7]، (ت1250هـ).

ومن المحدَثين: الدكتور صبحي الصالح[8]، وغيره؛ إذ اشترطوا لوقوعه شروطاً منها: " وقوع التناسب في أمور متحدة، مرتبطة أوائلها بآخرها " ، وذكروا بأنه: " إذا وقع على أسباب مختلفة وأمور متناثرة فما هذا من التناسب في شيء "[9]. وعدّوا ذلك من التكلفات والتعسفات.

والذي يبدو لي - والله اعلم- هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين من جواز القول بوقوعه في القرآن، وجواز الاشتغال به وذلك للأسباب التالية:

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب : (106/10، 110).

(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن : (1/ 35، 36).

(3) ينظر: نظم الدرر: (5/1).

(4) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن : (43/1).

(5) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت1367ه)، تح: فواز أحمد زمرلي مطبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415ه-1995م، (52/1، 53).

(6) ينظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العز بن عبد السلام، تح :محمد بن الحسن بن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1995م،(388/1) .

(7) ينظر: فتح القدير: للشوكاني (ت1250ه)، (د.ت)، دار بن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط1، 1414هـ (1 /85، 86).

(8) ينظر: مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط10، 1977م، (152) .

(9) ينظر: مباحث في علوم القرآن، (152).

1. باعتبار علم التناسب جزءاً من علوم القرآن فهو يرسخ الاعتقاد بإعجاز القـرآن الكـريم لما يبديه هذا العلم الجليل من لطائف القرآن وأسراره.
2. إن علم التناسب يساعد على ترجيح رأي على آخر إذا تساويا في القوة، وكان احدهما أليق بارتبـاط أجـزاء الآيـة، أو الآيـات فـإن العقـل يتوجـه بداهـة لترجـيح مـا هـو أولى بـنظم الكلام.وأخيراً نود أن نشير إلى أهم المؤلفات في علم التناسـب قـديماً وحـديثاً، والتـي يمكـن تقسيمهاإلى قسمين؛ دراسات قديمة ودراسات معاصرة هما:

أولاً: الدراسات القديمة:

من أهم المؤلفات في التناسب التي وصلت إلينا في هذا الإطار:

1. كتاب البرهان في تناسب سور القرآن للإمام أحمد بـن إبـراهيم الغرنـاطي[1]، وهـو أول من عمل في التناسب.
2. كتاب نظم الدرر في تناسـب الآيـات والسـور للإمـام برهـان الـدين إبـراهيم بـن عمـر البقاعي، وهو من أجلِّ كتب التفسير التي ذكر فيها مناسـبات الآيـات والسـور، وأطـال التدبر في مناسباتها.

---

(1) هو: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفـي العصـامي الجيـاني المولـد، الغرناطي المنشأ، ولد سنة (627ه). كان محـدثاً جلـيلاً، ناقـداً، نحويـاً، أصـولياً، أديبـاً، فصـيحاً، مقرئـاً مـفسراً مؤرخاً. أقرأ القرآن والنحو بمالقة وغرناطة وغيرهما؛ صنف تعليقا على كتاب سيبويه، والذيل عـلى صـلة ابـن بشكوال. توفي سنة(708ه). ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السـيوطي(ت911ه)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، (د،ط)، (291/1، 292).

3. قطف الأزهار في كشف الأسرار للإمام جلال الدين السيوطي[1]، حيث اعتنى مؤلف هذا الكتاب بعلم المناسبة على صعيد الآيات والسور، بل وحتى المناسبة ضمن الآية الواحدة.

ثانيا الدراسات المعاصرة:

وقد أخذت هذه الدراسات الحديثة نمطين من التأليف منها ما كان على شكل تفاسير على وفق التفاسير القديمة، واهم هذه الدراسات:

1. في ظلال القرآن لسيد قطب[2].
2. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور[3].
3. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم؛ إشراف مصطفى مسلم[4].

---

(1) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الحضيري، جلال الدين السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب له مصنفات كثيرة جداً نشأ يتيما في القاهرة، ومن كتبه " الإتقان في علوم القرآن " و "قطف الأزهار " و " طبقات الحفاظ " وغيرها كثير. توفي سنة (911ه) . ينظر: الأعلام: خير الدين الزركلي(ت1396ه)، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، (301/3، 302) .

(2) هو: سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية " موشا " في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة 1353 هـ - 1934 م وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي " الرسالة " و " الثقافة " وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف. وسجن وعذب، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم سنة 1965م، وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها " النقد الأدبي، أصوله ومناهجه " و " التصوير الفني في القرآن " و " في ظلال القرآن " و " معالم في الطريق " . ينظر: الأعلام: (147/3، 148).

(3) هو: محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته في تونس. عين " عام 1932 " شيخا للإسلام مالكيا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها " مقاصد الشريعة الإسلامية " و " أصول النظام الاجتماعي في الإسلام " و " التحرير والتنوير " في تفسير القرآن، توفي عام (1393ه). ينظر: الأعلام: (174/6، 175) .

(4) هو: الدكتور مصطفى مسلم أستاذ في التفسير وعلوم القرآن حصل على شهادة الدكتوراه من

ومنها ما كان على شكل رسائل جامعية " ماجستير ودكتوراه " ومن هذه

الدراسات:

1. وجوه التناسب بين سور القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، إعداد: أنس عبد العليم عبد الرحمن السعدي، جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية، 1419ه-1998م.
2. التناسب في سورة البقرة، رسالة ماجستير، إعداد الطالب طارق مصطفى محمد حميدة، الجامعة الأردنية، 1428ه-2007م.
3. التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، رسالة ماجستير، إقبال وافي نجم، جامعة الكوفة، كلية الفقه، 1430ه-2009م.
4. التناسب القرآني عند الإمام البقاعي دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، مشهور موسى مشهور، الجامعة الأردنية، 2011م.
5. التناسب في سورة آل عمران، رسالة ماجستير، عائشة جمال سلمان، كلية الإمام الأعظم، موصل، 2014م.

المطلب الثالث: أهمية علم التناسب

يعدُّ علم التناسب من العلوم التي يحتاج لفهمها إلى تدبر وتدقيق نظر في مقاصد الآيات وتذوق لنظم القرآن الكريم وبيانه المعجز والذي يعد من أعظم وأتم وجوه الإعجاز إذا تدبرنا التناسب بين السور والآيات وارتباطها بما قبلها وما بعدها[1].

قال الرازي: " أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط " وقال في تفسير سورة البقرة : " ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبه عَلِم أن القرآن

جامعة الأزهر قسم أصول الدين تخصص علوم قرآن، عمل أستاذاً مشاركا في الدراسات القرآنية بجامعة محمد بن سعود الإسلامية ثم أستاذاً في جامعة الشارقة.

http://shamela.ws/index.php/author/1491.

(1) ينظر: مباحث التفسير الموضوعي: (58/1).

كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته"[1].

ويعد أبو حيان[2] من الذين بينوا أهمية هـذا العلـم ؛ فقـد ذكـر في أواخـر تفسـيره لسـورة البقرة، "وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها، بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء ، وذلك من أبدع الفصاحة ، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله ومن أمعن النظر في ذلك سهل عليه مناسبة ما يظهر ببادىء النظم أنه لا مناسبة لـه"[3]. وقـد أكـد الشـيخ ولي الـدين الملـوي[4] (ت774هـ) على أهمية التناسب حيث قال: " قد وهم من لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها عـلى حسب الوقائع المتفرقة ، وفصل الخطاب، إنها عـلى حسـب الوقـائع تنـزيلا وعـلى حسـب الحكمـة ترتيباً وتأصيلاً ..... والـذي ينبغـي في كـل آيـة أن يبحـث أول شيء عـن كونهـا مكملـة لمـا قبلهـا أو مستقلة، والمستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم، وهكـذا في السـور يطلـب وجـه اتصالها بما قبلها وما سيقت له "[5].

---

(1) مفاتيح الغيب: (106/7، 110).

(2) محمد بن يوسف بن علي بن حيان بن يوسف الشيخ الإمام الحـافظ المـفسر النحـوي اللغـوي، أثـير الـدين أبـو حيان الجياني الغرناطي ثم المصري ولد بغرناطة سنة (652هـ) أخذ علم العربية ببلده عن جماعة أشهرهم أبو جعفر بن الزبير وأخذ علم الأصول عن الأصفهاني وعلم الحديث عن الـدمياطي تـوفي بالقـاهرة سـنة (745ه) ودفـن بمقـبرة الصوفية، ينظر: طبقات الشافعية، تقي الدين بن قاضي شهبة، تح: د. الحافظ عبد العليم خان، عـالم الكتـب- بـيروت، ط1، 1407ه، (68/3،67، 69).

(3) تفسير البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي (ت745ه)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجـود، الشـيخ عـلي محمـد معوض، ط1، 2001م، دار الكتب العلمية، بيروت، (378/2).

(4) محمد بن جمال الدين احمد بن عثمان العثماني الديباجي ولي الدين أبو عبدالـلـه الملوي "قرية بصـعيد مصر" كان فقيها مفسرا نحويا صوفيا سافر إلى دمشق والروم ولد سنة (713ه) وتوفي سنة (774ه)، مـن تصـانيفه " إرشاد الطائف إلى علم اللطائف "؛ ينظر: معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمـد راغـب كحالـة الدمشـقي، (ت 1408ه) مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي (227/8).

(5) الإتقان في علوم القرآن : (370/3).

وقال الزركشي: " واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف قدر القائل فيما يقول"[1].

وثمرته: " الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق، الذي هو كلحمة النسب، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو، وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب"[2].

وقال الإمام البقاعي: " وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"[3]. ومن فوائد علم المناسبة، جودة سبك القرآن، وإحكام سرده، ومعنى هذا أن القرآن الكريم بلغ من الترابط بين كلماته وآياته ومقاطعه وسوره مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر[4].

كما أن للمناسبة فوائد جمة منها:

1. أنها تساعد في ترجيح رأي على آخر إذا تساويا في القوة، وكان أحدهما أليق بارتباط أجزاء الآية ، أو الآيات، فإن العقل يتوجه بداهة لترجيح ما هو الأولى بنظم الكلام .
2. إن ذكر المناسبة بين الآيات والسور: ليس تكلماً بمحض الرأي، بل هو يبرز الوحدة المعنوية بين آيات وسور الكتاب العزيز، ويرسخ الإعتقاد بإعجاز القرآن الكريم، لما يبديه هذا العلم من لطائف القرآن وأسراره ،
3. إن علم المناسبة يعزز رأي العلماء الذين يرون أن ترتيب السور توقيفي، لا اجتهاد فيه.
4. أنه يعين على فهم معنى الآيات وتحديد المراد منها، ومن ذلك اختلاف

---

(1) البرهان في علوم القرآن : (35/1).

(2) نظم الدرر: (5/1، 7).

(3) م . ن : (5/1).

(4) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، (52/1، 53).

المفسرين في معنى قوله تعالى: " والصافات صفاً" قال قوم: هم الملائكة. وقال آخرون هي الطير، والأول أصح.

والخلاصة ، إن المناسبة هو علم دقيق يحتاج إلى معايشة جو التنزيل ومعرفة محور السورة والهدف الأساس الذي تدور حوله السورة ، لأنه كثيرا ما يأتي إلى ذهن المفسر على شكل إشراقات فكرية أو روحية[1]

ويرى الباحث: أن علم المناسبات يعمل على تقوية الارتباط بين أجزاء الكلام وبذلك يصبح كالبناء المتراص المتماسك.

---

(1) ينظر: مباحث التفسير الموضوعي: (58/1).

الفصل الأول

التناسب الداخلي والخارجي

والفاصلة القرآنية في سورة الأنعام.

الفصل الأول

التناسب الداخلي والخارجي

والفاصلة القرآنية في سورة الأنعام.

سنتكلم في هذا المبحث على التناسب الداخلي لسورة الأنعام ويقصد به أن يكـون التناسـب بين فاتحة السورة وخاتمتها وبين الآية نفسها، وبين الآية والآية التي قبلها أو بعدها، ويكون أيضاً بـين الآية وفاصلتها، وبين اسم السورة والسورة.

المبحث الأول

أنواع التناسب الداخلي في سورة الأنعام.

المطلب الأول: التناسب بين السورة واسمها

ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر، أو مستغرب لإدراك الرَّائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها كتسميتهم قصيدة كعب بن زهير[1]: بـ (بانت سعاد) لافتتاحها بها.

وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، فتسمية السورة لا تخرج عن أربعة وجوه: إما ابتداؤها كتسمية الكل باسم أوله لشهرة الأول وخفته وتداوله لكونه أول ما يفاجئه، مثل سورة (عمَّ) و(المرسلات)، وإما طول شأن الاسم في السورة مثل سورة " البقرة " و " الأنعام "، وإما لغرابته ـــ أي الاسم ـــ مثل سورة " الأعراف " و " الحجر "، وإما مناسبة الاسم لأول السورة مثل سورة " الكهف " و " إبراهيم " لكون الأول كالترجمة[2] لباقي السورة، حيث يتم في اسم السورة الإشارة إلى المضمون على اعتبار أنه اعتصار واختصار مكثف للنص القادم[3].

---

(1) كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني: شاعر معروف، صحابي مشهور، أنشد قصيدته المشهورة (بانت سعاد) فأعطاه الرسول ﷺ بردته. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت630هـ)، تح: علي محمد معوض، عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه - 1994م، (449/4)، برقم (4464).

(2) يقال: قد ترجم كلامه، إذا فسره بلسان آخر، ومنه الترجمان، والجمع التراجم، مثل " زعفران " و " زعافر " ؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (1928/5)، مادة " رجم " .

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن: (270/1)؛ والزيادة والإحسان في علوم القرآن: ابن عقيلة المكي (ت1150هـ)، مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، ط1، 1427ه-2006م، (392/1، 393،

وكل اسم سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كـل شيء عنـوان لـذلك الشيء يـدل بإجمالـه على تفصيل ما فيه وهذا ما علمه الـلـه تبارك وتعالى آدم عليه السلام عند العرض على الملائكـة، ومقصـود كل

سورة هاد إلى تناسبها ومظهر للمناسبة بينها وبين اسمها[1]، وسورة الأنعـام واحـدة مـن هذه السور تدل بتسميتها على مضمونها. فمقصودها الاسـتدلال عـلى مـا دعـا إليـه الكتـاب في السورة الماضية - أي المائدة - من التوحيد بأنه الحاوي لجميع الكـمالات مـن الإيجـاد والإعـدام والقدرة على البعث وغيره ، وأنسـب الأشـياء المـذكورة فيهـا لهـذا المقصـد الأنعـام؛ لأن الإذن في ركوبها وأكلها وغير ذلك مسبب عما ثبت له من الفَلْق والتفـرد بـالخلق، وتضـمَّن بـاقي ذكرهـا إبطال ما اتخذوه من أمرها ديناً – من جعل بعضها لـلـه وبعضها الآخر لشركـائهم وغـير ذلـك - لأنه لم يأذن فيه ولا أذن لأحد معه، لأنه المتوحـد بالإلهيـة، لا شريـك لـه، وحصر المحرمـات مـن المطاعم التي هي جُلها في هذا الدين وغيره ، فدل ذلك على إحاطة علمـه لشـمول القـدرة وسـائر الكمالات، وذلك عين مقصود السورة .

وسميت بــ " سورة الأنعام " ، لأن أكثر أحكامها، وجهالات المشركـين فيهـا، وفي التقـرب بهـا إلى أصنامهم مذكورة فيها[2].

ووجــه التناســب بــين الســورة واســمها أن لفــظ الأنعــام يطلــق في اللغــة عــلى ذوات

---

394)؛ وعتبة العنوان في الرواية الفلسطينية (دراسة في النص الموازي)، رسالة ماجسـتير للطالـب: فـرج عبـد الحسيب محمد مالكي، بإشراف: الدكتور علي الأسطة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1424هـــ - 2003م، (44).

(1) ينظر: نظم الدرر: (1/ 11، 12).

(2) ينظر: نظم الدرر: (578/2)؛ والبرهان في علوم القرآن: (270/1)؛ ومحاسن التأويل: للقاسـمي (ت1332ه)، تـح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1418ه، (308/4)؛ والتفسير المنير في العقيـدة والشريعـة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418ه، (126/7).

الخف والحافر من الحيوان، وهي - الإبل والبقر والغنم - وقد فصلت السورة الحديث عن هذه الأنواع بطريقة متعددة الجوانب، ومتنوعة الأهداف، حيث أوردت صوراً ومشاهد لما عليه المشركون من جهل وضلال، وشرك في العقيدة والأحكام والسلوك تمثلت في موقفهم من الأنعام وما أثبتوه لها من الأحكام، ومن هذه الصور:

* الصورة الأولى: أنهم قسموا الحرث والأنعام إلى قسمين، قسم جعلوه لله يتقربون به إليه عن طريق إكرام الضيف ومساعدة المحتاج، وقسم جعلوه لآلهتهم فذبحوه على الأنصاب، وأنفقوا منها على سدنتها وخدمها، ثم هم بعد ذلك العمل الباطل لا يعدلون في القسمة، ويجورون أحياناً على القسم الذي جعلوه لله بينما يتحرزون عن الجور على القسم الذي جعلوه لشركائهم. قال ﷻ :

(وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ) [1].

* الصورة الثانية: أنهم جعلوا الأنعام ثلاثة أقسام: قسماً لا يأكل منه عند ذبحه إلا سدنة الأوثان والرجال دون النساء. وقسماً يحرم ركوبه كالبحيرة والسائبة والحامي، وقسماً لا يذكرون اسم الله عليه عند الذبح وإنما يذكرون أسماء آلهتهم. قال ﷻ: (وَقَالُواْ هَـذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نّشَاء بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ) [2].

* الصورة الثالثة: من صور جهلهم وألوان ظلمهم أنهم كانوا يجعلون بعض ما في بطون أنعامهم إذا نزل حياً كان خاصاً بالرجال دون النساء، وإذا نزل ميتاً

---

(1) سورة الأنعام: 136.

(2) سورة الأنعام: 138.

فالرجال والنساء فيه شركاء. قال ﷻ: (وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَـامِ خَالِصَـةٌ لِّـذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ) [1]. فمضمون السورة الكريمة حول ذكر شبهات وأباطيل المشركين في العقيدة والأحكام وبيان جهلهم وسفههم، والذي تجلى واضحاً في مواقفهم المتناقضة في شأن الأنعام من تحليل وتحريم حسب أهوائهم وأوهامهم – افتراءاً على الله – مع أنهم يقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرزاق، وقد دحضت هذه السورة الكريمة الشبه والأباطيل، وبهذا يظهر التناسب بين السورة واسمها[2].

المطلب الثاني: التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها

التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها هو أن يتأنق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً قِبَل السامع قَبِلَ الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه، وإن كان في نهاية الحسن فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأرقه، وأجزله وأسلسه، وأحسنه نظماً وسبكاً، وأصحه معنى وأوضحه، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس، أو الذي لا يناسب، وقد أتت فواتح جميع السور على أحسن الوجوه وأكملها، كالتحميدات، وحروف النداء، والهجاء، وغير ذلك، ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله، والعَلَم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فإنها مشتملة على جميع مقاصده، لأنه افتتح فيها فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال. وخواتم السور مثل الفواتح في الحسن، فلهذا جاءت

---

(1) سورة الأنعام: 139.

(2) ينظر: محاسن التأويل: (308/4)؛ والتحرير والتنوير: (5/6)؛ والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: (5/ 8، 9)؛ والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (2/ 399).

متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد[1].

وقد تحققت براعة الاستهلال مع حسن الاختتام والتناسب بينهما فيما يأتي:

1- إن موضوع السورة التي تحدثت عنه هو العقيدة وإبطال حجج المشركين فجاء حسن الافتتاح في قوله ﷻ: (الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) [2]. وروعي فيه براعة الاستهلال بذكر الخلق والملك؛ لأن الخالق المالك هو الذي له التصرف في ملكه ومخلوقاته إباحةً ومنعاً، تحريماً وتحليلاً، فيجب أن لا يُتعدى عليه بالتصرف في ملكه ولا يعدل به غيره، وجاء حسن الاختتام متمثلا بذكر أشراط الساعة، والبعث في قوله ﷻ:(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ) [3]. وقوله ﷻ:) ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) [4].

وجاء حسن الاختتام متمثلاً في قوله ﷻ:(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [5]. كما أن في خاتمة السورة إشارة إلى نعمة الاستخلاف في الأرض، وبياناً للحكمة من هذا الاستخلاف وهو الابتلاء[6].

---

(1) ينظر: معترك الأقران: (58/1).

(2) سورة الأنعام: 1.

(3) سورة الأنعام: 158.

(4) سورة الأنعام: 164.

(5) سورة الأنعام: 165.

(6) ينظر: قطف الأزهار في كشف الأسرار، للسيوطي (ت911ه)،تح: احمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية والإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1414ه-1994م، (389/2)؛ والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (399/2).

2- وكذلك لما ذكر تعالى في أول السورة أنه مهلك القرون ومنشئ قروناً آخرين خلفاً عنها في قوله ﷻ: (أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ) [1]. ذكر في خاتمة السورة نحواً من ذلك فقال ﷻ : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ) [2] أي أن أمة سيدنا محمد ﷺ يحسن أن يسمى أهلها بجملتهم خلائف الأمم وليس لهم من يخلفهم إذ هم آخر الأمم وعليهم قيام الساعة وبالتالي كانوا هم الخلائف في الأرض[3].

3- يلاحظ أيضا أن مطلع السورة وهو قوله ﷻ:(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ) [4]. قد ذكر أجلين الأجل الأول أجل الموت، والأجل المسمى هو أجل القيامة، وهذا يتناسب غاية التناسب مع ما ختمت به السورة وهو قوله ﷻ:(وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) [5]. فبعد أن أخبر أن مصير جميع الناس إلى الله للحساب والجزاء ختم السورة بما ابتدأها به فما

---

(1) سورة الأنعام: 6.

(2) سورة الأنعام: 165.

(3) ينظر: المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1422هـ (2/ 370).

(4) سورة الأنعام: 2.

(5) سورة الأنعام: 164.

أروع هذه الخاتمة [1].

4- ومن أوجه التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها، فقد ابتدأ السورة المباركة بقوله ﷻ: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) [2]. فالذي خلق السماوات على علوها وإحكامها وما فيها من نجوم وشمس وقمر، وغير ذلك، وخلق الأرض أو ما فيها من منافع هو الرب[3] وليس غيره، وبعد أن ثبت بأول السورة وآخرها أنه لا رب ولا معبود سواه، فقد جاءت فاتحة السورة متناسبةً غاية التناسب مع خاتمتها بقوله ﷻ :(قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) [4]. فالذي تفرد بهذا الخلق العظيم من سموات وأرضين وغيرها فكيف يعبد اله غيره[5].

5- بدأت السورة المباركة ببيان تفرده " بالحمد "، كما استهلت السورة الكريمة بالحديث عن نعمة الإيجاد الأول " المبدأ " قال تعالى:(الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) [6]. وفي ختام السورة - ختام الحديث الطويل عن قضية التشريع والحاكمية - حيث إن التعقيب الذي يتكرر في كل آية كما في قوله ﷻ: (قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ

(1) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : (133/7)، (8/ 130).

(2) سورة الأنعام: 1.

(3) الرب هو: المالك، والخالق، والصاحب، والرب: المصلح للشيء، والقيام عليه. واللهُ جل ثناؤه الرب; لأنه مصلح أحوال خلقه ومربيهم. ينظر: مقاييس اللغة: (381/2، 382).

(4) سورة الأنعام: 164.

(5) ينظر: نظم الدرر: (579/2، 580، 753).

(6) سورة الأنعام : 1.

إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [1] وقوله ﷻ: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [2]

وقوله ﷻ :(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [3] يشكل مع مطلع السورة ترابطاً متناسباً ونسقاً رائعاً فكان ختام هذه السورة المباركة ختاما في غاية الجمال من حيث التناسب والترابط بين فاتحة السورة وخاتمتها لأن الذي أوجد من العدم هو صاحب التشريع والحاكمية لا غيره [4]. فهذه عدة مناسبات لطيفة بين أول السورة وآخرها.

المطلب الثالث: التناسب بين أجزاء الآية الواحدة

التناسب بين الآية الأولى من مطلع السورة حيث افتتح سبحانه وتعالى هذه السورة بنسبة الحمد لنفسه لما له سبحانه وتعالى من صفات الجلال والكمال، وذكر عقبه دليلاً شهودياً يدل على استحقاقه لذلك الحمد، ولما كان موضوع السورة بيان العقيدة وأحكام الشريعة في الأنعام وغيرها جاء ذكر الظلمات والنور مناسباً لسياق السورة بالإضافة لمناسبة السموات والأرض، وفيما يأتي عدد من هذه الأمثلة لهذا النوع من التناسب:

1- التناسب في الآية الأولى من مطلع السورة في قوله ﷻ: (الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) [5]، ووجه التناسب أن " الخلق " فيه معنى التقدير، والسموات والأرض أجرام تحتاج إلى تقدير وتنسيق فيما بينها غاية في الدقة فناسب استعمال "خلق" معهما، أما

---

(1) سورة الأنعام: 15.

(2) سورة الأنعام: 161.

(3) سورة الأنعام: 162.

(4) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط17، 1412ه، (1240/3).

(5) سورة الأنعام : 1.

جعل فإنه تارة يأتي بمعنى "أحدث وأنشأ" وحينئذ يتعدى إلى مفعول واحد، وتارة يأتي بمعنى "صيّر" وحينئذ يتعدى إلى مفعولين كما في قوله تعالى:) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا) [1]. وهنا قد تعدى "جعل" إلى مفعول واحد فيكون معناه "أحدث وأنشأ" والظلمات والنور أعراض لا تحتاج في إنشائها إلى الدقة التي يحتاجها إيجاد السموات والأرض فناسب استعمال " جعل" مع الظلمات والنور [2]، وكأن الآية الأولى تقول: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وأوضح الأمر لمن اعتبر واستبصر، ثم ختم الآية بقوله ﷻ:(ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) [3] أي ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من أدلة وحدانيته التي لا خفاء بها عن أحد وهي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور وهذا مناسب للفظ الظلمات، وزيادة في التقبيح عليهم ناسب الإظهار في موضع الإضمار فقال: " بربهم " ولم يقل: " به " أي المحسن إليهم الذي لم يروا إحساناً إلا منه وهو الله ربهم ومع ذلك فهم بربهم يعدلونأي يجعلون غيره مما لا يقدر على شيء معادلاً له مع معرفتهم بأنه الذي أبدع الأشياء كفراً لنعمته، وناسب استعمال حرف العطف " ثم " في هذا المقام – الدالة على التراخي- لإفادة استبعاد واستقباح ما فعله الكافرون. فإنهم رغم البراهين الواضحة والدالة على وحدانية الله وقدرته المذكورة في الآية – من خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور- قد نزلوا بمداركهم إلى الحضيض فسووا في العبادة بين الخالق والمخلوق[4].

---

(1) سورة الزخرف: 19.

(2) مفاتيح الغيب: (12 /478)؛ وكشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة (ت733هـ)، تح: د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1990م، (1/ 153).

(3) سورة الأنعام: 1.

(4) ينظر: نظم الدرر: (577/2، 579، 580، 583)؛ والتفسير الوسيط للقرآن الكريم،(31/5).

2- التناسب قوله ﷻ: (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [1]. "سكن" هاهنا مستعمل بمعنى ثبت واستقر لا بمعنى السكون الذي يقابل الحركة لأن المقصود من هذه الآية عموم ملك الله تعالى لكل شيء، والسكون بمعناه الثاني يتنافى مع التعميم المقصود من الآية، وذلك لأن المتحرك من المخلوقات أكثر من السواكن، ومن ذلك الفلك والشمس والقمر والنجوم السابحة والملائكة وأنواع الحيوان، وجاء ذكر الليل والنهار مناسباً لسياق الآية ومقصودها من وجهين:

* الوجه الأول: داخلي وهو أنه لما كان مقصود الآية أن ملك الله عام لكل شيء ناسب ذكر الليل والنهار لأنهما حاصران للزمان فأفادت تلك الآية أن ملك الله ثابت لكل شيء يحصره الزمان ويجري عليه الليل والنهار[2].

*الوجه الثاني: خارجي وهو أنه لما ذكر تعالى في الآية الأولى أنه خلق السموات والأرض أفاد ذلك أن كل ما حصره المكان فهو مملوك له تعالى فأفادت تلك الآية أن الله تعالى مالك للمكان والمكانيات، وأفادت هذه الآية أن الله تعالى مالك للزمان والزمانيات، وهذا في غاية الجلالة[3].

وهذا الوجه الثاني محله التناسب بين الآيات إلا أن أنني آثرت ذكره هنا لتعلقه بالآية وتتميما للفائدة.

* ووجه آخر هو أن قوله ﷻ:) وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (؛ فهاتان صفتان مناسبتان لصدر الآية، وختم بالسميع العليم للإشارة إلى أن الله تعالى يسمع ويعلم حتى حركة الثابت المستقر: يعني: أنه يملك الثابت والمستقر[4].

3- التناسب في قوله ﷻ : (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا

---

(1) سورة الأنعام: 13.

(2) ينظر: المحرر الوجيز: (272/2).

(3) ينظر: مفاتيح الغيب: (491/12،490).

(4) ينظر: مفاتيح الغيب: (491/12).

قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) [1] .

قيل الوقوف هاهنا مجاز[2] عن الحبس؛ ووقع للتوبيخ، وجاء السؤال بتقريرهم على التكذيب الذي كانوا عليه وقولهم لِماَ كانوا يسمعونه من حديث البعث والجزاء: ما هو بحق وما هو إلا باطل، فناسب ذلك ذكر لفظ الرب في قوله ﷻ: (عَلَى رَبِّهِمْ) تذكيراً لهم بأنه كان يربيهم، ويصلح حالهم فهو سيدهم وهم عبيده، ومع ذلك فقد عصوه وخالفوا أمره، ولذلك جاء إقرارهم واعترافهم مقترنا بالقسم بربهم فقالوا: (بَلَى وَرَبِّنَا) [3] .

4- قوله ﷻ :(إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللـهُ ثُمَّ إِلَيْـهِ يُرْجَعُـونَ) [4].

وقع التناسب في هذه الآية بين قوله تعالى:" يَسْمَعُونَ " و " وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ " وإيضاح وجه التناسب يتوقف على تفسير الآية وبيان معناها، وذلك أن اللـه تبارك وتعالى يخاطب نبيه ﷺ ويقول له لا تحفل[5] بمن أعرض ولم يستجب لدعوتك فإنما يستجيب لدعوتك ويلبي رسالتك وينقاد لأمرك ونهيك الذين يسمعون أي سماع استجابة بأن تتلقاه قلوبهم وعقولهم فتقبله، فليس المراد مجرد سماع الأذن

---

(1) سورة الأنعام: 30.

(2) والمجاز: هو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع؛ إذا تخطّاه إليه. ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبن الأثير(ت637ه)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د،ط)، 1420ه، (74/1).

(3) ينظر: الكشاف: (336/2، 337)؛ والبحر المحيط، (110/4).

(4) سورة الأنعام: 36.

(5) لا أحفل به ولا أحفله أي: لا أباليه، ويقال: لا تحفل به، أي لا تباله. ينظر: جمهرة اللغة: أبو بكر الأزدي (ت321ه)، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1-1987م، (554/1)، (حفل)؛ ومعجم مقاييس اللغة: (82/2)، (حفل).

لأنه أمر يشترك فيه البر والفاجر، أما الكفار فإنهم لا يقبلون الإيمان ولا يتركون الكفر، والله هو الذي يرشدهم بمشيئته، فلا تتأسف أنت ولا تستعجل ما لم يُقدَّر، فسمى الله تعالى استجابة المؤمنين وانقيادهم لداعي الإيمان وتلقيهم للآيات والبراهين الدالة عليها بالقبول سماه سماعاً، وهو مناسب للمقام فإن السماع هو طريق العلم بالنبوات والآيات المعجزات، ثم اشتق من السماع الفعل " يسمعون " على سبيل الاستعارة[1] التبعية [2]، ولما كان السماع من صفات الأحياء وكان فاقده بمنزلة الميت سمى الكفار الذين لا يسمعون دعوة النبي ﷺ سماع إجابة ولا يلبون رسالته ولا ينقادون لأمره ونهيه سماهم موتى على سبيل الاستعارة المصرحة [3] أي: أنهم كالموتى في عدم سماعهم وانقيادهم وقبولهم لرسالتك، وهذا كما قال تعالى: (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ) [4]. وقال تعالى:(وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ) [5]. ثم لما سمى الكفار الذين لا

(1) والاستعارة في اللغة: من قولهم، استعار المال: إذا طلبه عارية.

واصطلاحاً: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة " المشابهة " بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع " قرينة " صارفة عن إرادة المعنى الأصلي. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: احمد بن إبراهيم الهاشمي (ت1362ه)، تح: د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د،ط)، (258/1).

(2) وهي التي يكون اللفظ المستعار فيها فعلا، أو اسما، أو حرفا، وبمعنى آخر يمكن أن نقول إن الاستعارة التبعية هي: استعارة كلمة بدل كلمة، سواء أكانت اسما أم فعلا أم حرفا. ينظر: البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حبنكة (ت1425ه)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416ه-1996م، (237،241/2).

(3) وهي التي يصرح فيها بذات اللفظ المستعار، الذي هو في الأصل المشبه به حين كان الكلام تشبيهاً. البلاغة العربية: (242/2).

(4) سورة النمل: 80.

(5) سورة فاطر: 22.

يسمعون موتى واعتبرهم بمنزلتهم ناسب أن يعبر عن هدايتهم وإرشادهم بالبعث فسمى هدايتهم بعثاً وهو مناسب للموتى، واشتق منه الفعل " يبعثهم " على سبيل الاستعارة التبعية، وبهذا يظهر مدى التناسب بين الألفاظ الثلاثة " يسمعون والموتى يبعثهم "[1].

5- قوله ﷻ:(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) [2]. وهو الحكيم الخبير والمراد من كونه حكيماً أن يكون مصيباً في أفعاله، فلما ذكر خلق الخلق وسرعة إيجاده لما يشاء وتضمن البعث إفناءهم قبل ذلك ناسب ذكر الوصف بالحكيم، ولما ذكر أنه عالم الغيب والشهادة ناسب ذكر الوصف بالخبير، كونه عالماً بحقائقها من غير اشتباه ومن غير التباس إذ هي صفة تدل على علم ما لطف إدراكه من الأشياء، فجاءت الصفتان " الحكيم الخبير " مناسبتان لصدر الآية[3].

6- قوله ﷻ:(فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) [4].

ذلك تقدير العزيز ذلك إشارة إلى جميع الأخبار من فلق الإصباح، وجعل الليل سكناً، والشمس والقمر حسباناً، وكثيراً ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز: (288/2، 289)؛ ومفاتيح الغيب: (521/12)؛ ومحاسن التأويل (ت1332ه)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418ه، (349/4)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي(ت1376ه)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420ه-2000م، (255/1).

(2) سورة الأنعام: 73.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب: (28/13)؛ والبحر المحيط: (165/4).

(4) سورة الأنعام: 96.

والشمس والقمر يختم الكلام بالعزة والعلم، كما ذكر في هذه الآية، ولما كان في معنى " العزة " القهر، أي: الذي قهرهما بجعلهما مسخرين، لا يتيسر لهما إلا ما أريد بهما، ولأن تقدير هذه الأمور البديعة ناشئ عن كمال العلم والقدرة معا، كما في قوله ﷻ :(وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) ، فقد جاءت هاتان الصفتان مناسبتان غاية التناسب لسياق الآية، ودليل على كمال علمه وعظيم قدرته وقهره لكل شيء[1].

7- قوله ﷻ: (وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَليمٌ) [2]. في هذه الآية نجد التناسب متحققاً بين سياقها وختمها بقوله تعالى: " حَكِيمٌ عَليمٌ " وبيان ذلك أن الله تعالى يخاطب نبيه والمؤمنين ويقول لهم: ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام وغيرهم من المشركين مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يوحون إليهم زخرف القول غرورا ليجادلوا به المؤمنين فيجمعهم جميعاً في موقف القيامة، ويقول للجن (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ) ،يعني قد أضللتم كثيرا من الإنس، ويقول أوليائهم من الإنس : (رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) ، أما استمتاع الإنس بالجن، فإنه كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض فيقول: " أعوذ بسيد هذا الوادي "، وأما استمتاع الجن بالإنس، ففيما ينالهم من تعظيم الإنس لهم في استعاذتهم بهم فيقولون: " سدنا الإنس والجن ويزدادون شرفاً في قومهم، فهذا هو الاستمتاع الذي يعتذرون عنه يوم القيامة، إلا أن

(1) ينظر: البحر المحيط: (191/4)؛ وتفسير القرآن العظيم: (305/3)؛ وقطف الأزهار: (913/2)؛ ومحاسن التأويل: (441/4).

(2) سورة الأنعام: 128.

هذا الاعتذار لا ينفعهم ولذلك جاء الرد عليهم"[1] بقوله ﷻ: (النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَليمٌ) [2]. فحكيم عليم صفتان مناسبتان لسياق الآية لأن تخليد هؤلاء الكفرة في النار فعل صادر عن حكمة وعلم بمواقع الأشياء "[3]. فناسب ختم الآية بهما.

المطلب الرابع: التناسب بين الآيات في السورة

في سورة الأنعام مناسبات أخرى تربط الآيات بعضها ببعض وتنظمها في نسق واحد وفيما يأتي عدد من الأمثلة التي توضح هذا النوع من التناسب:

1- التناسب بين قوله ﷻ :(وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [4]. والآية التي قبلها وهي قوله ﷻ: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [5]. فالمناسبة بين الآيتين أنه لما تقدم قوله ﷻ:(إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) [6]. أخبر أن المكذبين بالآيات صم لا يسمعون من ينبههم، فلا يستجيب أحد منهم ولما كان قوله ﷻ: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ) منبهاً على عظيم قدرة الله تعالى ولطيف صنعه وبديع خلقه، ذكر أن المكذب بآياته هو أصم عن سماع الحق أبكم عن النطق به، وقد دل قوله تعالى:

---

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : الطبري (ت310ه)، تح: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420ه - 2000م، (115/12، 116).

(2) سورة الأنعام: 128.

(3) المحرر الوجيز: (346/2).

(4) سورة الأنعام: 39.

(5) سورة الأنعام: 38.

(6) سورة الأنعام: 36.

(مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) . على أنه ما من شيء نافع للعباد في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم، إلا وقد تضمنه القرآن الكريم، ثم ذكر أن المكذبين به، صم لا يستجيبون له، ولا يلقون السمع لما فيه[1].

2- التناسب بين مضمون قوله ﷻ :(وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) [2].ومضمون الآية التي بعدهاوهي قوله ﷻ:(وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [3]. هو أن الآيتين تتحدثان عن علم الله تعالى وقدرته، فالآية الأولى ذكرت أن الله تعالى عنده علم الغيب والشهادة فهو عالم بالغيبيات التي لا يعلمها الإنسان ولا يدركها، وعالم بالمحسوسات التي يدركها الإنسان ويشاهدها، وما هو كائن في البر والبحر فقال تعالى: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) [4]. ويلاحظ هنا أنه قدم البر على البحر لأن الإنسان أكثر ملابسة له بما فيه من المدن والقرى والنبات والحيوان وغير ذلك، أما البحر فإن إحاطة العقل بأحواله أقل ولذا أخر ذكره، وإن كان الحس يدل على أن عجائبه أكثر، ثم ذكرت الآية جزئية أخرى تدل على تعظيم علم الله تعالى وإحاطته لكل شيء فقال ﷻ: (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا) ثم ذكرت ما هو أدق من ذلك فقال ﷻ:(وَلاَ حَبَّةٍ فِي

(1) ينظر: البحر المحيط: (127/4)؛ وقطف الأزهار: (873/2).

(2) سورة الأنعام: 59.

(3) سورة الأنعام: 60.

(4) سورة الأنعام: 59.

ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) فكأن الآية تقول: إذا كان علم اللـه تعالى محيطاً بما هو في أقصى الأرض (وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ) فكيف بما هو في النور وهو أكبر من الحبة؟ وإذا كان جميع ذلك معلوماً للـه تعالى، وقد أحاط به علما فمن البديهي أن يكون ذلك دليلاً على قدرة اللـه تعالى. والآية الثانية تصب في هذا المعنى نفسه فإنها ذكرت ما يدل على علم تعالى فقال ﷻ:(وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) وقال: (ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) وذكرت في الوقت نفسه ما يدل على قدرته تعالى وهو النوم والإيقاظ فقال ﷻ: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) [1]. فالمراد من التوفي النوم، ومن البعث الإيقاظ، وهذا أمر محسوس لكل إنسان، وبهذا يظهر التناسب بين الآيتين[2].

3-قوله ﷻ :(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللـهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ) [3].

لفظ الخوض[4] عبارة عن المفاوضة على وجه العبث واللعب والمراد من الخوض

---

(1) سورة الأنعام: 60.

(2) ينظر: البحر المحيط: (4/ 150)؛ ونظم الدرر: (2/ 647).

(3) سورة الأنعام : 68ـ-70.

(4) الخوض: اللبس في الأمر.والخوض: المشي في الماء. والخوض - من الكلام - ما فيه الكذب والباطل، والخوض: يدل على توسط شيء ودخول. يقال خضت الماء وغيره. وتخاوضوا في الحديث والأمر، أي تفاوضوا وتداخل كلامهم. ينظر: تهذيب اللغة: محمد بن احمد الأزهري (ت370ه)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، (196/7) ؛ ومقاييس اللغة: (229/2)، مادة (خوض).

الشروع في آيات اللـه تعالى على سبيل الطعن والاستهزاء، والتكلم بغير تأمل ولا بصيرة بل طوع الهوى كما يفعل خائض الماء في وضعه لرجله على غير بصيرة، وقد جاء النهي في الآية عن مجالسة الذين يستهزئون بآيات اللـه من المشركين قال المسلمون: لئن كنا كلما استهزأ المشركونَ بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لما قدرنا عـلى أن نجلـس في المسـجد الحـرام وأن نطوف بالبيت، فنزلت هذه الآيـة وحصـلت الرخصـة فيهـا للمـؤمنين بـأن يقعـدوا معهـم ويذكرونهم ويفهمونهم. ثم أكد اللـــه تعـالى تـرك المسـتهزئين بقولـه تعـالى: (وَذَرِ الَّـذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا) ومعنى ذرهم أعرض عنهم أيها الرسول ومن تبعك من المـؤمنين عن هؤلاء المشركين الذين يتلاعبون بدينهم بعبادة الأصـنام، يصـنعونها ثـم يأكلونهـا، فقـد أضاعوا عمرهم فـيما لا يفيـد وهـذا هـو اللعـب، واللـــهو أي في الاسـتهزاء بالـدين الحـق بالبحائر والسوائب وغير ذلك، ولـيس المـراد بـالإعراض أَن يـترك إنـذارهم لأنـه تعـالى قـال بعــده: وذكــر بــه، والمــراد تــرك معــاشرتهم وملاطفــتهم ولا يــترك إنــذارهم وتخــويفهم. فـذكر اللعـب واللـــهو هاهنـا مناسـب لقصـة الخـوض والاسـتهزاء. فـإنهم قـد بنـوا أمـر ديـنهم عـلى التشـهي، وتـدينوا بمـا لا يعـود علـيهم بنفـع عـاجلاً وآجـلاً، كعبـادة الأصـنام واتخاذ البحائر والسوائب، واتخذوا دينهم الـذي كلفـوا بالـدخول فيـه لعبـاً ولهـواً، حيـث سخروا به[1].

4- قوله ﷻ :(قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللـهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَـا بَعْـدَ إِذْ هَـدَانَا

(1) ينظر: مفاتيح الغيب: (22/13، 23، 24)؛ ونظم الدرر: (652/2، 653)؛ وقطف الأزهار: (891،892/2)؛ والتفسير المنير: (247/7، 249).

اللـهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللـهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[1]. مناسبة هذه الآية لما بعدها وهي قوله ﷻ:(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)[2]. أن الآية الأولى تخاطب النبي ﷺ " قل " يا محمد لقومك (أَنَدْعُو مِن دُونِ اللـهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللـهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللـهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العالمينَ) وهذا استفهام إنكاري، أي: لا ينبغي أن ندعو من دون اللـه ما لا ينفعنا ولا يضرنا ولا ينبغي أن نرد على أعقابنا، وفي هذا المقام ناسب التذكير بقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، فإن إبراهيم عليه السلام الجد الأعلى للعرب، وهم يرجعون إليه فذكروا بأن إنكار هذا النبي محمد ﷺ عليهم عبادة الأصنام هو مثل إنكار جدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام على أبيه وقومه عبادتها، وهم – أي العرب – وسائر الطوائف معظمون لإبراهيم عليه السلام فينبغي الاقتفاء بأثره وفي ذلك التنبيه على اقتفاء من سلف من صالحي الآباء والأجداد[3].

5- قوله ﷻ: (قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللـهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[4]. وقوله ﷻ : (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ

(1) سورة الأنعام: 71.

(2) سورة الأنعام: 74.

(3) ينظر: البحر المحيط: (168/4)؛ والتفسير المنير: (261/7)؛ والتفسير الموضوعي: (487/2).

(4) سورة الأنعام: 145.

حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ) [1]. التناسب بين هاتين الآيتين من ثلاثة وجوه:

الأول: أنه لما أخبر أنه حرم أشياء على أهل هذه الملة في الآية الأولى أخبر أنه حرم أيضاً أشياء على بعض الأمم السابقة " وهم اليهود " وذلك في الآية الثانية وفي هذا الإخبار إشارة إلى أمرين:

أحدهما: أن التحريم إنما هو راجع إلى اللـه تعالى في الأمم جميعها، وهو إنما يستند إلى الوحي الإلهي.

وثانيهما: أن فيه تكذيبا لليهود في قولهم: أن اللـه لم يحرم علينا شيئاً وإنما حرمنا على أنفسنا ما حرمه إسرائيل على نفسه.

الثاني: لما ذ كر اللـه تعالى ما حرم على هذه الأمة ناسب ذكر ما حرم على بعض الأمم السابقة لبيان أن النبي ﷺ مطلع على تفصيل ما أوحي إلى من تقدمه من الأنبياء مع أنه لم يشامم أحداً من أتباعهم ولا دارس عالماً ولا درس علماً قط، فلا دليل على صدقه على اللـه أعظم من ذلك.

الثالث: لما ذكر اللـه ﷻ أنه أحل لهذه الأمة الخبائث عند الضرورة رحمة بهم، وأنه أزال عنها في تلك الحالة ضرها ناسب ذكر ما فعل مع اليهود من أنه حرم عليهم بعض الطيبات بسبب ظلمهم وصدودهم وغلوهم، ولم يحلها لهم في حال من الأحوال عقوبة لهم كما جاء التصريح بذلك في قوله ﷻ:(فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللـهِ كَثِيرًا) [2]. وفي هذا بيان لتفضيل هذه الأمة على غيرها[3].

---

(1) سورة الأنعام: 146.

(2) سورة النساء: 160.

(3) ينظر: البحر المحيط: (244/4)؛ ونظم الدرر: (737/2)، والتفسير الموضوعي: (578،579/2).

6- قوله ﷻ : (قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللـهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ . فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ . سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللـهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ . قُلْ فَلِلـهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ . قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللـهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)[1]. والآيات في قوله:ﷻ (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللـهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللـهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [2]. التناسب بين هذه الآيات في الموضعين من وجهين:

---

(1) سورة الأنعام: 145-150.

(2) سورة الأنعام: 151-153.

الأول: أن اللـه تعالى لما أبطل دين المشركين كله أصولاً وفروعاً في التحريم والإشراك وبين فساده بالدلائل النيرة ناسب أن يخبرهم بالدين الحق مما حرمه الملك الذي له الخلق والأمر ومن غيره ، فليس التحريم لأحد غيره[1].

الثاني: وقد بيَّن الدكتور مصطفى مسلم مناسبة أخرى بين الآيات بقوله: " بعد ما ذكر اللـه تعالى ما فعله المشركون من تحريم ما أحل اللـه، وما فعله تعالى باليهود من تحريم بعض الطيبات عليهم لتعنتهم وتشددهم وظلمهم وقسوة قلوبهم: ناسب ذلك الحديث عن المحرمات الثابتة في جميع الرسالات الربانية فقال سبحانه وتعالى: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا) إلى آخر الآيات "[2]؛ ولذلك قال ابن عباس- رضي اللـه عنهما-: "هذه الآيات المحكمات التي ذكرها اللـه ﷻ في سورة "الأنعام" أجمعت عليها شرائع الخلق، ولم تنسخ قط في ملة، وقد قيل: إنها العشر كلمات المنزلة على موس" عليه السلام[3].

(1) ينظر: نظم الدرر: (740/2).

(2) التفسير الموضوعي: (585/2).

(3) اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل الحنبلي الدمشقي (ت 775ه)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419ه-1998م، (504/8).

المبحث الثاني

التناسب الخارجي في سورة الأنعام.

سنتكلم في هذا المبحث على التناسب الخارجي لسورة الأنعام، ويقصد به أن يكون هناك علاقة تناسب بين السورة والسورة التي قبلها والسورة التي بعدها من حيث فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها، وخاتمة السورة وفاتحة ما بعدها، وقد يكون التناسب بين آية في السورة وآية أخرى من سورة أخرى، أو بين مجوعة آيات.

المطلب الأول: التناسب بين خاتمة المائدة وفاتحة الأنعام

إن المتأمل لخاتمة أي سورة يجد أن بينها وبين فاتحة السورة التي تليها تناسباً تاماً، وسورة الأنعام واحدة من هذه السور تقع بين المائدة والأعراف فإذا نظرنا إلى خاتمة المائدة وفاتحة الأنعام وجدنا أن فاتحة الأنعام جاءت مناسبةً لخاتمة المائدة، وبيان ذلك من خمسة وجوه:

الوجه الأول: أن الله تعالى لما ختم سورة المائدة بتحميد عيسى عليه السلام وحثه على الحمد من خلال تذكيره بنعمه تعالى عليه يوم القيامة فقال :(يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ . إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ) [1]. ثم حمد سبحانه وتعالى نفسه المقدسة حيث وصفها بالملك والقدرة فقال: (للهِ مُلْكُ

(1) سورة المائدة: 109- 110.

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَـدِيرٌ) [1]. أي: لـه سـلطان السـموات والأرض "ومـا فيهن"، دون عيسى الذين تزعمون أنه إلهكـم، ودون أمـه، ودون جميـع مـن في السـموات ومـن في الأرض، فإن السموات والأرض وما فيهن خلق من خلقه، وعيسى وأمُّه من بعض خلقه.

"وهو على كل شيء قدير"، يعني: أن اللـه سبحانه تعـالى الـذي لـه ملـك السـموات والأرض وما فيهن، قادر على إفنائهن وعلى إهلاكهن، وإهلاك عيسى وأمه ومـن في الأرض جميعـاً كـما ابتـدأ خلقهم، لا يعجزه ذلك ولا شيء أراده، لأن قدرته القـدرةُ التـي لا تشـبهها قـدرة، وسـلطانه العظـيم السلطان الذي لا يشبهه سلطان ولا مملكة؛ ثم بيَّنَ لهم ثواب الجنة فقال ﷻ: (قَالَ اللـهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِـن تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا أَبَـدًا رَّضِيَ اللــهُ عَـنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [2]. أي: فازوا بالجنة ونجوا مما خافوا، ثـم عظّـم نفسـه عـمّا قالـت النصارى من بهتان بأن معه إلهاً فقال تعالى: (لـلـهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُـلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [3]. والحمد هو الوصـف بالجميـل، فلـما كـان الحـال كـذلك افتـتح ﷻ سـورة الأنعـام بالإخبار بأن ذلك الحمد وغيره من المحامد مستحق له تعالى استحقاقاً ثابتـاً دائمـاً قبـل إيجـاد الخلـق بعده سواء شكره العباد أو كفروه[4].

الوجه الثاني: أن اللـه تعالى لما ذكر مـا قالتـه النصـارى في عـيسى وأمـه مـن كـونهما إلهـين: (وَإِذْ قَـالَ اللــهُ يَـا عِـيسَى ابْـنَ مَـرْيَمَ أَأَنـتَ قُلـتَ لِلنَّـاسِ اتَّخِـذُونِي وَأُمِّـيَ إِلَهَـيْنِ مِـن دُونِ

(1) سورة المائدة: 120.

(2) سورة المائدة: 119.

(3) سورة المائدة: 120.

(4) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: (245/11، 246)؛ والكشف والبيان عن تفسـير القـرآن: الثعلبـي(ت427هـ)، تح: الإمـام أبي محمـد بـن عاشـور، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت-لبنـان، ط1، 1422هـ-2002م، (130/4)؛ واللباب في علوم الكتاب: (628/7)؛ ونظم الدرر: (579/2).

اللـهِ) [1] وجرت تلك المحاورة، مع ذكر ثواب الصادقين فيها. جاء قوله ﷻ: (لـلـهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ) [2]. عَقِب ما جرى من دعوى النصارى وفساد ما زعموا في عيسى وأمه من كونهما الهين، فأخبر بأن له ملك السموات والأرض يتصرف فيهما كيف يشاء، ومن غير أن يكون له شريك في ملكه، لا عيسى ﵇ ولا غيره من المخلوقات. ثم افتتح سورة الأنعام بالإخبار بأن الحمد وغيره من المحامد مستحق له فلا يمكن أن يثبت معه شريك في الإلهية فيحمد كما تقدم في قول النصارى في عيسى وأمه وكفرهم بذلك فقال ﷻ: (الْحَمْدُ لـلـهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) [3].

الوجه الثالث: أن سورة المائدة لما ختمت بفصل القضاء بين العباد وجزاء الصادقين حيث قال ﷻ: (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ! قَالَ اللـهُ هَـذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللـهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [4]. ناسب ذلك حمده تعالى على نعمة القضاء بين خلقه وعلى نعمة إثابة الصادقين فاستفتح سورة الأنعام بالحمد فقال تعالى:(الْحَمْدُ لـلـهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) [5]. وهذا كقوله ﷻ: (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لـلـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [6].

(1) سورة المائدة: 116.

(2) سورة المائدة: 120.

(3) سورة الأنعام: 1؛ وينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن: (381/6)؛ والبحر المحيط: (72/4).

(4) سورة المائدة: 118-119.

(5) سورة الأنعام: 1.

(6) سورة الزمر: 75؛ وينظر: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور: (83)؛ والتفسير الموضوعي: (400/2).

الوجه الرابع: إن في سورة المائدة إثبات سلطان الله تعالى الكامل، وقدرته الشاملة، وأنه لَا يعجزه شيء في السماء ولا في الأرض؛ إذ قال سبحانه: (لِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1]. وفي أول آية من سورة الأنعام يبين سبحانه السبب في كمال سلطانه، والمظهر الأعظم لكمال قدرته، وهو خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان، فإن هذا من أسباب السلطان الكامل على السماوات والأرض ومن فيهن، وهو مظهر كامل لكمال قدرته سبحانه وتعالى، وهذا قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ)[2].

الوجه الخامس: في أواخر سورة المائدة محاجة[3] لأهل الكتاب حيث يقول ﷻ: (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ . قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ)[4]. وفي أوائل سورة الأنعام محاجة المشركين من العرب وغيرهم يقول الله ﷻ:) وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ . أَلَمْ يَرَوْاْ

---

(1) سورة المائدة: 120.

(2) سورة الأنعام: 1؛ وينظر: زهرة التفاسير: (2429/5، 2430).

(3) الحُجّةُ: ما دوفعَ به الخَصمُ، والجمع حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّهُ مُحَاجَّةً وحِجاجا: نازَعه الحُجةَ، وحَجَّهُ يحُجُّهُ حَجا: غَلَبَهُ على حُجّته، واحْتَجَّ بالشَّيْء: اتَّخذهُ حُجةً. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، تح: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421ه -2000م، (الحاء والجيم)، (482/2).

(4) سورة المائدة: 112- 115.

كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ) [1]. وهكذا يتضح لنا التناسب بين خاتمة المائدة وفاتحة الأنعام.

المطلب الثاني: التناسب بين خاتمة الأنعام وفاتحة الأعراف

كما وقع التناسب بين آخر سورة المائدة وأول سورة الأنعام كذلك وقع التناسب بين آخر سورة الأنعام وأول سورة الأعراف من وجوه متعددة وهي كما يأتي:

الوجه الأول: جاء في خواتيم سورة الأنعام قوله ﷻ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ)[2]. وقوله ﷻ: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ) [3]. وقد تضمنت الآية الأولى الأمر بالتزام الإسلام بكل تعاليمه وشرائعه، ثم اتبعه في الآية الأخرى مثل ذلك، حيث أشاد الباري ﷻ بالقرآن ممتناً بإنزاله، وما أودع فيه من البركة التي ينالها كل من يؤمن به ويعمل به، وقد جاءت فاتحة الأعراف مناسبةً لذلك فقد افتتحت أيضاً بالأمر باتباع الدين الحق فقال ﷻ: (كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) [4]. إلى قوله ﷻ: (اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) [5]. وهكذا يتحقق التناسب بين السورتين في الحث على اتباع الصراط المستقيم وهو الإسلام، واتباع ما في الكتاب وهو القرآن العظيم، والتزام ما فيه

(1) سورة الأنعام: 4- 6؛ ينظر: التفسير الواضح: محمد محمود حجازي، (د.ت)، دار الجيل الجديد، ط 10، 1413هـ (584/1).

(2) سورة الأنعام: 153.

(3) سورة الأنعام: 155.

(4) سورة الأعراف: 2.

(5) سورة الأعراف: 3.

من أوامر ونواهٍ[1].

الوجه الثاني: أنه ذكر سبحانه وتعالى في خاتمة سورة الأنعام قوله ﷻ:(مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) [2]. أي فله عشر حسنات أمثالها وذلك لا يظهر إلا في الميزان[3]، وقد جاءت سورة الأعراف مفتتحة بذكر الوزن وذكر من ثقلت موازينه، وهو من رجحت حسناته على سيئاته، ثم من خفت موازينه، وهو من زادت سيئاته على حسناته، فقال ﷻ: (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ) [4]. ثم ذكر بعد ذلك أصحاب الأعراف، وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم[5].

الوجه الثالث: تحدثت سورة الأنعام في خاتمتها عن المعاد والمصير إلى الله تعالى وذلك في قوله ﷻ: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ) [6]، وقوله ﷻ: (قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ

(1) ينظر: أسرار ترتيب القرآن: (102/1)؛ وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر الجزائري، (د،ت)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424ه-2003م، (142/2).

(2) سورة الأنعام:160.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (150/7).

(4) سورة الأعراف: 8-9.

(5) ينظر: أسرار ترتيب القرآن: (102/1).

(6) سورة الأنعام: 158- 159.

تَخْتَلِفُونَ) [1]. وفي أوائل سورة الأعراف بيان لما يتم في ذلك اليوم من سؤال للعباد، وإنبائهم بما كان منهم:(فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ . فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ) [2] وهذا يتناسب مع ما جاء في أواخر سورة الأنعام[3].

الوجه الرابع: ختم الله ﷻ سورة الأنعام بخاتمة رائعة، وذلك ببيان أن الله سبحانه وتعالى جعل الناس يخلف بعضهم بعضاً لتستمر الحياة ويتنافس الناس في الأعمال النافعة فقال سبحانه وتعالى:(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ) [4]. وفي أوائل سورة الأعراف ذكر سبحانه أنه مكن للإنسان في الأرض وأخبر عن خلق آدم وتصويره وإسكانه – هو وزوجه- الجنة، ثم الهبوط إلى الأرض للعيش فيها والقيام بما يجب من إعمارها، وبما تقتضيه وظيفة الاستخلاف فقال تعالى: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) [5].

---

(1) سورة الأنعام: 164.

(2) سورة الأعراف: 6-7.

(3) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (3/3).

(4) سورة الأنعام: 165.

(5) سورة الأعراف: 10؛ وينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (3،4/3).

المبحث الثالث

التناسب بين سورة الأنعام وسور أخرى من القرآن الكريم.

المطلب الأول : التناسب بين سورة الأنعام والسور المفتتحة بـــلفظ "الحمد"

إن من أوجه إعجاز القرآن الكريم تناسب سوره، وتناسق موضوعاتها ضمن السورة الواحدة بل حتى مع موضوعات السور الأخرى، فبالرغم من أن القرآن الكريم نزل منجماً واستغرق نزوله قرابة ثلاث وعشرين سنة وفيه ما نزل في مكة وما نزل في المدينة، وما نزل في الحضر وما نزل في السفر، ومع أنه موزع بين سور تتفاوت في الطول والقصر، بالرغم من ذلك كله نجد أن السور متناسبةً فيما بينها على مستوى الموضوعات التي تتناولها بل حتى على مستوى الألفاظ التي وقعت في سياق تلك السور.

وإننا نجد أن التناسب بين موضوعات سورة الأنعام والسور المكية الأخرى أشد منه بينها وبين السور المدنية وبخاصة تلك السور التي جاءت مفتتحة بـ " الحمد " وهي خمس سور " الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر "، وإذا أردنا أن نستقصي أوجه التناسب بين سورة الأنعام، وهذه السور المفتتحة بالحمد فإن البحث سيطول جداً ولربما خرجنا عن موضوع الدراسة؛ لذلك فإننا سنكتفي ببيانبعض أوجه التناسب بين سورة الأنعام وسورة سبأ بعدها من السور المفتتحة بالحمد لا سيما تقاربهما من حيث النزول، فسورة الأنعام تقع في المرتبة الخامسة والخمسين، وتأتي بعدها سورة سبأ في المرتبة الثامنة والخمسين، فبينهما سورتان فقط وهما الصافات ولقمان[1].

فنقول: تلتقي سورة الأنعام مع سورة سبأ في محاور متعددة أولها محور الموضوع الذي تتناوله السورتان، فالسورتان مكيتان، وقد ذكرنا أن السور المكية غالبا ما تتحدث عن المسائل العقائدية وتعالج قضية التوحيد والإيمان بالوحي والبعث والجزاء وغير ذلك، ومن الطبعي أن أسلوب العرض وكيفية علاج تلك المسائل لا يتكرر من حيث الشكل

(1) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (43/1)؛ والتحرير والتنوير: (7/6)، (5/22).

وإن تكرر من حيث المضمون والأهداف والمقاصد التي تنشدها السور المكية. فسورة الأنعام تهدف إلى تقرير وحدانية الله تعالى وما يجب له من صفات الكمال، وهدم عقيدة الشرك وتقويض أركانها بالحجة والبرهان، وتسلية النبي ﷺ عما يلقاه من قومه من أذى واستهزاء وتهديد المستهزئين بالرسل بإلحاق العذاب بهم كما ألحق بمن استهزئ من قبلهم، وغير ذلك مما تقدم[1].

وكذلك سورة سبأ تتحدث عن القضايا والمسائل العقدية وتعالج موضوعاتها الرئيسة من: توحيد الله، والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث والجزاء وبيان أن الإيمان والعمل الصالح هما قوام الحكم والجزاء عند الله لا الأموال ولا الأولاد. والتركيز الأكبر في السورة على قضية البعث والجزاء، وعلى إحاطة علم الله وشموله ودقته ولطفه. وتتكرر الإشارة في السورةبهذه القضايا المترابطة بطرق متنوعة، وأساليب شتى وتظلل جو السورة كله من البداية إلى النهاية وفي ثنايا ذلك تسلية للنبي ﷺ عما يلقاه من قومه من استهزاء وسخرية وتكذيب، وفيه تهديد لهم بأنه سيلحقهم مثل ما لحق مكذبي الرسل من قبلهم من العذاب الأليم[2]. فعن قضية البعث يقول ﷻ: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[3].

وعن قضية الجزاء يقول ﷻ: (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ)[4].

وهكذا تتناسب السورتان في الموضوعات التي تعالجها والأهداف والمقاصد التي

---

(1) ينظر: ص4-5 من الرسالة.

(2) ينظر: في ظلال القرآن: (2888/5، 2889).

(3) سورة سبأ: 3.

(4) سورة سبأ: 4- 5.

ترميان إليها ومن البدهي أن ينعكس هذا التناسب على الآيات بين السورتين وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر الأوجه الدالة على ذلك بما يأتي:

1 - قوله تعالى في سورة الأنعام: (وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ . وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ) [1]. وقوله تعالى في سورة سبأ:

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ . أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ)[2].

فقوله تعالى في الآيات الأولى حكاية عن الكفار " وقالوا لولا أنزل عليه ملك " وهذا تحضيض[3] منهم مستعمل في التعجيز على حسب اعتقادهم، ويراد به كذلك الاستهزاء، وعطف قوله تعالى: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ) [4]. على قوله تعالى: (وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ) [5]. لبيان تفننهم في المكابرة والعناد تصلباً في شركهم وإصراراً عليه، فلا يتركون وسيلة من وسائل التنفير من قبول دعوة الإسلام إلا توسلوا بها. ومناسبة عطف هذا الكلام على قولهم أو اقتراحهم-إنزال ملك- على النبي ﷺ ليشاهدوه ويخبرهم بصدق النبي ﷺ أنهم كانوا في قولهم ذلك

(1) سورة الأنعام: 8-10.

(2) سورة سبأ: 7-8.

(3) يقال: حضضت القوم على القتال تحضيضا إذا حرضتهم، والحضيض: قرار الأرض عند سفح الجبل، ينظر: تهذيب اللغة: باب "الحاء والضاد"، (256/3)؛ ومقاييس اللغة: مادة "حض"، (13/2).

(4) سورة الأنعام: 10.

(5) سورة الأنعام: 8.

قاصدين التعجيز والاستهزاء معاً، لأنهم ما قالوه إلا عن يقين منهم أن ذلك لا يكون، فابتدئ الرد عليهم بإبطال ظاهر كلامهم، وإذا أنزلنا ملك لوجب العذاب وانتهى الأمر بعذابهم الذي يتهددهم اللـه سبحانه وتعالى به، وأنه سيحيق بهم العذاب وأن ذلك سنةُ اللـه في كل أمة استهزأت برسول له. قال بن عباس: " لو رأوا الملك على صورته لماتوا إذ لا يطيقون رؤيته "[1]. وهذا يتناسب من حيث المضمون والهدف الذي تقصده الآيتان السابقتان في سورة سبأ فإنهما تخبران عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة والتعجب من ذلك واستبعاد البعث، واستهزائهم بالرسول ﷺ في إخباره بذلك، وقولهم: هل نرشدكم إلى رجل يخبركم بأنه إذا قطعت أوصالكم في القبور وتفرقت أجسادكم في الأرض، بحيث صرتم تراباً، وتمزقت كل ممزق، فلم يبق شيء من أجسادكم مع شيء، بل صار الكل بحيث لا يميز بين ترابه وتراب الأرض، وذهبت به السيول كل مذهب، فصار مع اختلاطه بتراب الأرض والتباسه متباعداً بعضه عن بعض، وبعد كل هذا الحال إنكم تعودون كما كنتم قبل الموت قياماً لا شك فيه أحياء ترزقون؟ ثم يتمادون في ذلك بقولهم عن النبي ﷺ في إخباره هذا بأنه لا يخلو أمره من قسمين: إما أن يكون قد تعمد الافتراء على اللـه أنه قد أوحى إليه ذلك، أو أنه لم يتعمد لكن لُبّسَ عليه كما يُلَبَّس على المعتوه والمجنون؛ ولهذا قالوا: (أَفْتَرَى عَلَى اللـهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ) [2]. ؟ وهذا كله استهزاء واضح ولذلك قابل الحق سبحانه كلامهم واستهزاءهم هذا بقوله: (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) [3]. فكلا الموضعين من الآيات في السورتين تسليان النبي ﷺ في تكذيب قومه واستهزائهم به، وتتوعد الكفار بإلحاق العذاب بهم، لكن مع اختلاف في

(1) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن"تفسير البغوي": (111/2)؛ والجامع لأحكام القرآن: (393/6)؛ والتحرير والتنوير: (24/6-28).

(2) سورة سبأ: 8.

(3) سورة سبأ: 8.

طبيعة العرض ومضمون المقالة، وفي هذا من التناسب ما لا يخفى[1].

2- قوله ﷻ في سورة الأنعام: (قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللـهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللـهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللـهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)[2]. وقوله ﷻ في سورة سبأ: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللـهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ . وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ . قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللـهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ . قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاء كَلَّا بَلْ هُوَ اللـهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[3]. فالآيات الأولى من سورة الأنعام تتحدث عن الصفات التي يجب أن تتحقق في الإله، وأن من لم تتحقق فيه هذه الصفات لا يستحق العبادة، وفيها إنكار على المشركين في عبادتهم لما لم يتحقق فيه هذه الصفات وقد جاء هذا الإنكار على شكل استفهام

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم: بن كثير(ت774ه)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420ه-1999م، (496/6)؛ والجواهر الحسان: (364/4)؛ ونظم الدرر: (155/6، 156).

(2) سورة الأنعام: 71-73.

(3) سورة سبأ: 22- 27.

إنكاري[1](قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللــهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا) [2]. فالإله المستحق للعبادة هو الذي ينفع ويضر ويهدي ويضل وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق، وله الملك يوم ينفخ في الصور وهو الذي يعلم الغيب والشهادة، ومن لم تتحقق فيه هذه الصفات فليس بإله ولا يستحق العبادة، ولذلك ذكر أهل التفسير في هذا المقام عند تفسير الآية أن اللــه تعالى يقول لنبيه ﷺ : قُلْ لهم يا محمد أندعو من دون اللــه أي: نعبد من دون اللــه حجراً أو شجراً أو أصناماً جامدة لا يقدرون على نفعنا أو ضرنا، ونرد على أعقابنا أي: نرجع إلى الشرك بعد إذ هدانا اللــه وأنقذنا، ورزقنا الإسلام؟ فنخصّ هذه الأصنام والأوثان بالعبادة دون اللــه وندع عبادة الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت إن كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشر ولا شك أن عبادة ما يرتجى نفعه ويرهب ضرّه أحق وأولى من عبادة من لا يرجى منه شيء منهما؟[3]، وهذا وهو عين ما تهدف إليه الآيات الثانية من سورة سبأ فإنها تعالج القضية نفسها وهي قضية الألوهية وصفات الإله (قُلِ

(1) وهو أحد المعاني التي تأتي لها همزة الاستفهام ويراد منه النفي، مع الإنكار على المُثبِتِ كيف أثبَتَ ما هو ظاهر النفي، وكان الواجب عليه أن ينفي، وهو نوعان: إنكار إبطالي ويعني به: أن ما بعد الهمزة غير واقع وأن مدعيه كاذب، نحو قوله تعالى: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا) "الإسراء: 40"؛ والثاني: إنكار توبيخي ويعني: أن ما بعد الهمزة واقع، وأن فاعله ملوم على فعله فلهذا يوبخ عليه. نحو قوله تعالى: (أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللــهِ تُرِيدُونَ) "الصافات: 86"؛ ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: بن هشام(ت761ه)، تح: د. مازن المبارك؛ ومحمد علي حمداللــه، دار الفكر، دمشق، 1980م، (24/1، 25)؛ والبلاغة العربية: (271/1)؛ ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية: د. محمد سمير نجيب اللبدي: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405ه-1985م، (231، 232).

(2) سورة الأنعام: 71.

(3) ينظر: جامع البيان: (450/11)؛ وتفسير القرآن العظيم: (279/2-281)؛ وتفسير المراغي: (164/7، 165)؛ والبحر المديد: (133/2، 134).

ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّـهِ) [1]. أي: قل لهم يا محمد استمروا على دعائكم وعبادتكم للذين دعوتموهم من دون الله، وفيه تخطئة وتوبيخ[2] لهم لأنهم دعوا ما لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض بل ليس لهم فيهما شركة ونصيب ومن كان هذا ماله لم يستحق العبادة، ثم انتقلت الآيات للاستدلال على ضعف آلهتهم وانتفاء نفعها وجدواها لهم في الدنيا والآخرة وإلزامهم بطلان عبادتها بأنها لا تستحق العبادة، لأن مستحق العبادة هو الذي يرزق، عباده فإن العبادة شكر ولا يستحق الشكر إلا المنعم فقال تعالى: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [3].

ثم انتقلت الآيات إلى توبيخهم على عبادة من لم يتصف بصفات الإله، وتعجيزهم بطلب رؤية من ألحقوه شريكاً بالإله فقال تعالى: (قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ) [4]. أي: أروني شخوصهم لنبصر هل عليها ما يناسب صفة الإلهية، أي أن كل من يشاهد الأصنام بادئ مرة يتبين له أنها خلية عن صفات الإلهية إذ يرى حجارة لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه لأن انتفاء الإلهية عن الأصنام بدهي ولا يحتاج إلى أكثر من رؤية حالها، وتلك حالة تخالف صفة، الإلهية لأن الإلهية صفة ذاتية قديمة.

فحاصل تفسير الآيات كما ذكره المفسرون: قل لهم يا محمد ما الذي عراكم ودخل في أذهانكم من الشبه حتى جعلتم هؤلاء الأصنام التي لا تنفع ولا تضر أنداداً لله وشركاء، وبأي صفة ألحقتموها به في استحقاق العبادة؟ ثم نبه إلى فاحش غلطهم، وعظيم

---

(1) سورة سبأ: 22.

(2) وبخ: ومنه "التوبيخ" وهو اللوم. يقال: وبخت فلانا بسوء فعله توبيخا إذا أنبته تأنيبا. ينظر: تهذيب اللغة: (246/7)، باب "الخاء والباء"؛ ومقاييس اللغة: (81/6)، مادة "وبخ".

(3) سورة سبأ: 24.

(4) سورة سبأ: 27.

خطئهم بقوله: (كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّـهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [1]. أي ليس الأمر كما وصفتم، فلا نظير له تعالى ولا ندّ، بل هو اللـه الواحد الأحد ذو العزة التي بها قهر كل شيء، وهو الحكيم في أفعاله وأقواله، وفيما شرع لهم من الدين الحق الذي يسعد من اعتنقه في حياتيه الأولى والآخرة[2]. وبهذا يتضح لنا جلياً وجه التناسب بين المضمون والهدف والمقصود الذي ترمي إليه هذه الآيات من السورتين الكريمتين في هذا الموضع.

3- قوله ﷻ: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ) [3]. وقوله ﷻ: (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ . وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ . وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ . وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ) [4]. ففي الآيات الأولى والتي تقع في خواتيم سورة الأنعام يتوعد اللـه سبحانه وتعالى المشركين الذين يصدفون[5] عن آياته ويعرضون عنها - بعد أن أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب بينة وهدى ورحمة – بالعذاب القوي الشديد، وقوله ﷻ: " هل ينظرون " استفهام

---

(1) سورة سبأ: 27.

(2) ينظر: لطائف الإشارات: القشيري(ت465ه)، تح: إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، (183/3)؛ وتفسير المراغي: (8/22)؛ والتحرير والتنوير: (52/23، 61)؛ والتفسير المنير: (182/22، 183).

(3) سورة الأنعام: 158.

(4) سورة سبأ: 51- 54.

(5) الصدوف يدل على الميل عن الشيء، وصدف عن الشيء، إذا مال عنه وولى ذاهبا. ينظر: مقاييس اللغة: (338/3)، مادة "صدف"؛ ولسان العرب: (2416/4)، مادة "صدف".

إنكاري ناشئ عن قوله تعالى قبل هذه الآية : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ) [1]. وكأن سائلا قال: متى يكون جزاؤهم فجاء قوله تعالى: " هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة " أي: ما ينتظر أهل مكة بعد الآيات التي جاءتهم ولم يقتنعوا بها إلا أن تأتيهم ملائكة الموت أو ملائكة العذاب بالأمر الفيصل من عذابهم كما هي عادتها في إتيان المكذبين " أو يأتي ربك " والمراد به إتيان أمره بحساب الناس يوم القيامة " أو يأتي بعض آيات ربك " أي: أشراط الساعة مثل دابة الأرض التي تميز الكافر من المؤمن، وطلوع الشمس من مغربها المُؤذن بإغلاق باب التوبة، وأبهم قوله تعالى: " بعض آيات ربك " لتهويل الأمر وتعظيمه[2].

وكذلك الآيات في خواتيم سورة سبأ جاءت تعريضاً[3] بالكفار وتهديدا لهم بالعذاب الأليم لمن ترك البينات التي جاء بها النبي محمد ﷺ كما دل عليه قوله ﷻ:(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ . وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ . وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ . قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى

(1) سورة الأنعام: 157.

(2) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي(ت685ه)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418ه، (190/2)؛ واللباب في علوم الكتاب: (80/8-82)؛ ونظم الدرر: (749/2)؛ والتحرير والتنوير: (136/7، 137).

(3) صد يرجع إلى إعراض وعدول. فالصد: الإعراض. يقال: صد يصد، وهو ميل إلى أحد الجانبين. ثم تقول: صددت فلانا عن الأمر، إذا عدلته عنه. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (495/2، 496)، مادة "صدد"؛ ومقاييس اللغة: (282/3)، مادة "صد".

وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) [(1)].

والخطاب للنبي ﷺ تسلية له أو لكل مخاطب، أي: لو تراهم أو ترى عذابهم عند الموت في الدنيا أو عند خروجهم من القبور يوم القيامة – على خلاف بين أهل التفسير في ذلك – وقد حذف من الآية جواب " لو" لغرض التهويل والتقدير: لرأيت أمراً مهولاً وشأناً فظيعاً " فلا فوت " أي: فلا خلاص لأحد منهم من العقاب " وأخذوا " أي: عند الفزع من كل من نأمرهم بأخذهم سواء قبل الموت أو بعده " من مكان قريب " أي: أخذاً لا شيء أسهل منه فإن الآخذ سبحانه قادر وليس بينه وبين المأخوذ شيء أو مسافة بل هو أقرب إليه من نفسه[(2)]. وهكذا نجد أن التناسب بين أواخر السورتين قد تحقق في ظل التهديد والوعيد بالعذاب كما تحقق في ظل مسائل العقيدة من التوحيد والبعث والجزاء.

المطلب الثاني: التناسب بين سورتي الأنعام والكافرون

كما وقع التناسب بين سور القرآن المفتتحة بالحمد كذلك وقع التناسب بين سور القرآن الواقعة بين طرفيه " أوله وآخره " أعني من سورة الفاتحة إلى سورة براءة، ومن سورة قريش إلى سورة الناس، فكل سورة من الطرف الأول يقابلها سورة من الطرف الثاني تناسبها في مضمونها وما تدعو إليه، وقد صرح بهذا البقاعي -رحمه الله- إذ يقول: " وكما التقى آخر كل سورة مع أولها فكذلك التقى آخر القرآن العظيم بأوله بالنسبة إلى تسع سور"[(3)].

وعلى سبيل المثال: سورة المائدة يقع تسلسلها خامساً من الطرف الأول وهي تقع قبل سورة الأنعام تقابلها نظيرتها من الطرف الثاني سورة النصر والتي يقع تسلسلها الخامس قبل الأخيرة، وقد تحدثت سورة المائدة عن اكتمال الدين وإتمام النعمة في ثلاث

---

(1) سورة سبأ: 43- 46 .

(2) ينظر: المحرر الوجيز: (426/4)؛ ونظم الدرر: (196/6)؛ والتحرير والتنوير: (102/2).

(1) نظم الدرر: (537/8).

بشارات جاءت في قوله ﷻ:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [1]. أما اكتمال الدين فالمراد به اكتماله من التحليل والتحريم، فلم ينزل بعده حلال ولا حرام، وأما إتمام النعمة فالمراد منها فتح مكة، ودخولهم آمنين فلم يحج معهم كافر وهذا من أعظم منن الله تعالى عليهم، وقد اختار دين الإسلام لهم من بين الأديان[2]. أما سورة النصر - وهي الخامسة من الأخير – فهي تتحدث عن تحقق الفتح والنصر، وتبشر بانتصار الدين ودخول الناس فيه أفواجاً؛ وهذه إشارة إلى اكتمال الدين، وبأنه لم يبق للرسول ﷺ إلاَّ أن يلحق بالرفيق الأعلى[3]، وذلك من أعظم مقاصد المائدة، المناظرة لسورة النصر في التطبيق بين البادئة والعائدة[4]. وكذلك سورة الأعراف التي يقع تسلسلها سابعاً من أول القرآن يقابلها من آخره سورة الكوثر، فمن مقاصد سورة الأعراف تهديد الظالمين بالإهلاك في قوله ﷻ: (وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) [5]. وتصوير ذلك بذكر مصارع الماضين لمخالفتهم الرسل عليهم الصلاة والسلام والأمر بالصلاة وستر العورة بقوله ﷻ :(خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [6]. وذكر من يمنح ماء الجنة ومن يمنعه بقوله ﷻ :(وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء

(1) سورة المائدة: 3.

(3) ينظر: تفسير المنار: (54/6، 55)؛ وتفسير المراغي: (128/6، 129).

(4) ينظر: إرشاد العقل السليم: أبو السعود(ت982ه)، (د.ت)، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (209/9)؛ وتفسير المراغي: (259/30، 260).

(5) نظم الدرر: (564/8).

(1) سورة الأعراف: 4.

(2) سورة الأعراف: 31.

أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللـهُ) [1]. وقوله ﷻ:(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ)[2].

وحاصل سورة الكوثر المن عليه ﷺ بالخير العظيم الذي من جملته النهر المادّ[3] من الجنة في المحشر الذي يرده من اتبعه، ويمنع عنه من امتنع من إتباعه، وقد أُمر ﷺ بالصلاة والنحر للتوسعة على المحتاجين، وبُشر بقطع دابر أعدائه ونصر أوليائه[4].

وهكذا نلاحظ أن هذه السور التسعة التي تقع في مطلع القرآن تقابلها تسع سور أخرى تتناسب معها في المضمون والهدف والقضايا التي تعالجها، وسورة الأنعام واحدة من هذه السور التسع التي يقابلها من آخر القرآن سورة الكافرون والمقصد الأهم لسورة الأنعام معالجة قضايا العقيدة وإفراد الباري ﷻ بالعبادة وعدم الإشراك به وتحريم الذبح لغيره لأنه من أنواع العبادة، وترك التشريع له سبحانه وتعالى في قوله ﷻ:(قُلْ أَغَيْرَ اللـهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) [5] وقوله ﷻ : (أَفَغَيْرَ اللـهِ أَبْتَغِي حَكَمًا) [6]. وقوله ﷻ : (وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللـهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ

(3) سورة الأعراف: 50.

(4) سورة الأعراف: 156- 157.

(3) ماد الشيء يميد ميدا: تحرك. ومادت الأغصان، تمايلت. وماد الرجل. تبختر، وماد الشيء ميدا: تحرك. وماد ميدا: تمايل. ومياد: مائل. والميد: ما يصيب من الحيرة عن السكر، أو الغثيان، أو ركوب البحر. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (541/2، 542)، مادة "ميد"؛ والمحكم والمحيط الأعظم: (412/9، 413)، مادة "ميد".

(4) ينظر: نظم الدرر: (549/8، 550).

(1) سورة الأنعام: 14.

(2) سورة الأنعام: 114.

إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) [1]. وقوله ﷻ: (وَجَعَلُواْ لِلـهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَـذَا لِلـهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللـهِ وَمَا كَانَ لِلـهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ) [2]. بل قد ختمت سورة الأنعام بقوله ﷻ:(قُلْ أَغَيْرَ اللـهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) [3]. وهذه الاستفهامات الثلاثة الواردة ضمن الآيات السابقة هي في الحقيقة استفهامات إنكارية أي لا أتخذ ولياً ولا أبتغي حكماً ولا رباً غير اللـه، وهذا عين ما تعالجه سورة الكافرون بصورة موجزة جداً (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [4]. فمقصود سورة الكافرون إخلاص العبودية للـه وعدم الإشراك به وتأييس الكفار من أن يوافقهم النبي ﷺ في شيء مما هم عليه من الكفر بالقول الجازم والمؤكد في الحاضر والمستقبل وأن دين الإسلام لا يخالط شيئاً من دين الشرك[5]، وهكذا يتم التناسب بين سورتي الأنعام والكافرون.

(1) سورة الأنعام: 121.

(2) سورة الأنعام: 136.

(3) سورة الأنعام: 164.

(4) سورة الكافرون: 1- 6.

(5) ينظر: التحرير والتنوير: (509/30).

المبحث الرابع

الفاصلة القرآنية في سورة الأنعام.

المطلب الأول: تعريف الفاصلة القرآنية لغة واصطلاحا

الفاصلة لغة: بَونُ ما بين الشيئين، والفَصْل من الجسد: موضع المَفْصل، يقال: " فصَّلتُ الوشاح: إذا كان نظمه مفصلاً بأن يجعل بين كل لؤلؤتين مرجانة أو شذرة أو جوهرة تفصل بين اثنتين من لون واحد "[1]،

والفصل: الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلاً فانفصل، والفصل والمفصل كل ملتقى عظمين من الجسد، والفاصلة الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، والفصل: القضاء بين الحق والباطل.[2]

وأما الفاصلة اصطلاحاً: فقد عرفها عدد من العلماء القدامى والمحدثين.

أما العلماء القدامى فيمكن إجمال أقوال عدد منهم بما يأتي:

1. فقد عرفها الرماني[3] بقوله: " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني "[4].

---

(1) ينظر: تهذيب اللغة: (135/12، 136)، مادة (فصل).

(2) المحكم والمحيط الأعظم: (329/8)، مادة (فصل).

(3) أبو الحسن الوراق، علي بن عيسى بن علي بن عبدالله النحوي المعروف بابن الرماني، من المعتزلة، وكان إماما في علم العربية علّامة في الأدب، ومولده (296ه)، وله تصانيف في جميع العلوم من النحو واللغة والفقه والكلام على رأي المعتزلة، ومن هذه التصانيف: كتاب تفسير القرآن المجيد، وكتاب معاني الحروف، وكتاب شرح الموجز لابن السراج، وكتاب إعجاز القرآن، وكتاب الإيجاز في النحو، وغيرها كثير، (ت384ه). ينظر: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين الرومي الحموي (ت626ه)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414ه- 1993م، (1826/4، 1827) .

(4) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله احمد، د. محمد زغلول مسلم، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط3، 1967م، (97).

2. كما عرفها أبو بكر الباقلاني[1] بقوله: " حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني"[2].

3. وعرفها أبو عمرو الداني [3] بقوله: " الكلام التام المنفصل مما بعده والكلام التام قد يكون رأس آية وكذلك الفواصل يكنَّ رؤوس آي وغيرها فكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين "[4].

4. وعرفها الزركشي بقوله: " وهي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"[5].

وأما العلماء المحدثون الذين تكلموا على الفاصلة القرآنية فيمكن إجمال أقوال عدد منهم بما يأتي:

- الدكتور فضل حسن عباس – رحمه الله – والباحثة سناء فضل عباس عرفا الفاصلة بقولهما: " اللفظ الذي ختمت به الآية، فكما سموا ما ختم به بيت

---

(1) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور، سكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، وكان في علمه أوحد زمانه، وكان موصوفا بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، وسمع الحديث؛ وتوفي سنة (403ه) ببغداد، وصلى عليه ابنه الحسن، ودفنه في داره بدرب المجوس، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب؛ ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد الإربلي (ت681ه)، تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط1، 1971م، (269/4، 270).

(2) إعجاز القرآن: للباقلاني (ت403ه)، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف-مصر، ط5، 1997م، (270/1).

(3) عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، المعروف بابن الصيرفي، ولد سنة (371ه)، ورحل إلى الشرق لطلب العلم، ومكث في القيروان، وكان أحد الأئمة في علم القرآن، وله معرفة بالحديث وطرقه، له مصنفات كثيرة منها كتاب "التيسير" و "المقنع" و "البيان في عدِّ آي القرآن" توفي بداية سنة (444ه)، ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام: للذهبي(ت748ه)، تح: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م، (659/9).

(4) البيان في عدِّ آي القرآن: أبو عمرو الداني(ت444ه)، تح: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط1، 1414ه-1994م، (126/1).

(5) البرهان في علوم القرآن: (53/1، 54).

الشعر قافية، أطلقوا على ما ختمت بـه الآيـة الكريمـة فاصـلة، فالفاصـلة القرآنيـة لم تـأتِ لغرض لفظي فحسب، وهـو اتفـاق رؤوس الآي بعضـها مـع بعـض، وهـو مـا يعـبرون عنـه بمراعاة الفاصلة إنما جاءت الفاصلة لغرض معنوي يحتمه السياق وتقتضيه الحكمة"[(1)].

كما عرفها الدكتور مناع القطان بقوله: "الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آيـة وقـد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، سميت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها"[(2)].

والفاصلة أيضاً " الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن"[(3)].

ومن خـلال هـذه التعريفـات يلاحـظ أن هنـاك أربعـة آراء للعلـماء القـدامى والمحـدثين في تحديد مفهوم الفاصلة وهي:

1. الفاصلة هي الحرف الذي تختم به الآية، وهذا ما ذهب إليه الرماني والباقلاني.
2. الفاصلة هي الكلمة التي وقعت قي آخر الآية، وهذا ما ذهب إليه الزركشي والدكتور احمد بدوي.
3. الفاصلة هي الكلام والجملة المنفصلة عما بعدها، وهذا ما ذهب إليه أبو عمرو الداني ومال إليه الدكتور مناع القطان
4. الفاصـلة هـي اللفـظ الـذي ختمـت بـه الآيـة، وهـذا مـا ذهـب إليـه الـدكتور فضـل حسن عباس والباحثة سناء فضـل عبـاس، وهـذا الـرأي يعـم كـلا الـرأيين الأول والثـاني.

كما يلاحظ أيضا أن الجمهور من المتقدمين والمحدثين يـذهبون إلى أن الفاصـلة تقـع في آخـر الآيـة بيـنما ذهـب أبـو عمـرو الـداني إلى أنهـا تقـع في رؤوس الآيـات وغيرهـا،

---

(1) إعجاز القرآن الكريم: د. فضل حسن عباس، وسـناء فضـل عبـاس، جامعـة القـدس المفتوحـة، (د. ط)، 1991م، (225، 226).

(2) مباحث في علوم القرآن: (153/1).

(3) من بلاغة القرآن: د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، (د. ط)، 2005م، (64).

وإلى هذا مال الدكتور مناع القطان.

بعد هذه التعريفات وقبل الكلام عن الفرق بين الفاصلة والسجع، أن سبب تسمية الكلمة الأخيرة من الآية فاصلة لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك لأن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها[1]. أما الفرق بين الفاصلة والسجع أو قافية الشعر؛ فإنه يمنع استعمال القافية في كلام الله ﷻ لأن الشرع لما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية أو السجع أيضاً، ولأن الفاصلة صفة لكتاب الله ﷻ، فلا تتعداه إلى الشعر أو غيره، وأما السجع أو القافية فهي خاصة بالشعر في كلام العرب، والفرق بين الفاصلة والسجع أيضاً: أن الفواصل في القرآن: هي التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة لذاتها. أما السجع: فهو الذي يُقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه، لأنه: موالاة الكلام على وزن واحد[2].

والذي يراه الباحث هو أن الفاصلة هي الكلمة الواقعة في آخر الآية.

المطلب الثاني : أنواعها وفوائدها

أولا: أنواعها:

فواصل القران كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها، وتتنوع الفواصل القرآنية على ثلاثة أنواع، الفواصل المتماثلة والفواصل المتقاربة والفواصل المنفردة. أما المتماثلة ـــ وتسمى المتجانسة أو المناسبة التامة ـــ فهي التي تماثلت حروف رويّها[3]، كقوله ﷻ:(وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) [4].وقد تتفق الفاصلتان في حرف أو أكثر قبل الرويُّ من

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن: (53/1، 54)؛ ومباحث في علوم القرآن: (153/1).

(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن: (58/1، 59)؛ ومباحث في علوم القرآن: (153/1).

(3) الرويُّ: هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة فتنسب إليه، فيقال: قصيدة لامية، أو ميمية، أو قصيدة نونية، إن كان حرفها الأخير لاما أو ميما أو نونا . ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: احمد الهاشمي(ت1362هـ)، تح: علاء الدين عطية، دار البيروتي، ط3، 1427هـ ـ 2066م، (129).

(4) سورة : الطور: 1- 4.

غير كلفة ولا قلق، بل تتناسبان في اللين والجمال والسلاسة. مثال اتفاق الفاصلتين في حرف قبل الرويِّ قوله ﷻ:(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) [(1)]. ومثال اتفاق الفاصلتين في حرفين قبل حرف الرويُّ . قوله ﷻ:(مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ) [(2)]. ومثال اتفاق الفاصلتين في ثلاثة أحرف قبل الرويّ. قوله ﷻ: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ . وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ) [(3)]، وقد شاع وقوع هذا النوع من الفاصلة في الآيات والسور المكية، كسورة "النازعات" و "عبس" و "الأعلى".

وأما الفاصلة المتقاربة: فهي التي تقاربت حروف رويها، كتقارب الميم والنون في قوله ﷻ: (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [(4)]. وتقارب الدال والباء في قوله ﷻ:(ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) [(5)]، ويغلب وقوع الفاصلة المتقاربة في الآيات والسور المدنية، كسورة "البقرة" و "آل عمران"، وهذان النوعان هما الأكثر وقوعاً في الفواصل القرآنية.

وأما الفاصلة المنفردة ـــ وهي نادرة ـــ فهي التي لم تتماثل حروف رويها ولم تتقارب. نحو قوله ﷻ: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) [(6)].

---

(1) سورة الشرح: 1- 4.

(2) سورة القلم: 2-3.

(3) سورة الأعراف: 201 - 202.

(4) سورة الفاتحة: 3-4.

(5) سورة ق: 1- 2.

(6) سورة الضحى: 9-11.

فقد تنتهي السورة بفاصلة منفردة[1].

ثانيا: فوائدها

تعد الفاصلة القرآنية من أهم العلوم الشرعية، فالفاصلة بحد ذاتها يمكن أن تعد علماً مستقلاً برأسه لأنه يبحث في بيان عدّ آي كل سورة، ورأس كل آية

ومبتدئها، ولذلك فأن معرفة الفواصل لها عدة فوائد منها:

1- يُحتاج لمعرفة علم الفاصلة لصحة الصلاة، فقد ذكر فقهاء الشافعية أن من لحن في سورة الفاتحة بإبدال حرف مكان حرف لم تصح صلاته، فإذا أبدل الفاصلة بحرف آخر بطلت صلاته[2].

2- يُحتاج لمعرفة هذا العلم الجليل للفوز بالأجر والثواب الموعود به على قراءة عدد معين من الآيات في الصلاة.

3- الاحتياج إلى علم الفواصل في معرفة ما يسن قراءته بعد الفاتحة في الصلاة، فقد نص العلماء على أنه لا تحصل السنة إلا بقراءة ثلاث آيات قصار أو آية طويلة، ومن يرى منهم وجوب القراءة بعد الفاتحة لا يكتفي بأقل من هذا العدد[3].

4- اعتبارها لصحة الخطبة فقد أوجبوا فيها قراءة آية تامة.

5- اعتبار الفاصلة في الوقف المسنون إذ الوقف على رؤوس الآي سنة.

تعد الفاصلة في باب الإمالة فإن من القراء من يوجب إمالة رؤوس آي السور

---

(1) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني، (98، 99)؛ والفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، دار عمار ـــ عمان، ط2، 1421ه-2000م، (145- 148)؛ ومن بلاغة القرآن: (74).

(2) ينظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: الخطيب الشربيني (ت977ه)، تح: عبد الرزاق شحود النجم، دار الفيحاء، دمشق، ط1، 1430ه- 2009م، (428/1)؛ وحاشية الشيخ إبراهيم البيجوري، الشيخ إبراهيم البيجوري(ت1276ه)، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط8، 2010م، (288/1).

(3) ينظر: كتاب المجموع: النووي (ت676ه)، تح: محمد نجيب المطيعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، (245/3).

خاصة في القرآن كرؤوس آي سورة " النجم " و "طه" و "الشمس" إلى غير ذلك فإن ورشاً وأبا عمرو يقللان[1] رؤوس آي هذه السور قولاً واحداً فلو لم يعلم القارئ رؤوس الآي عند المدني الأول والبصري لا يستطيع معرفة ما يقلل لورش باتفاق وما يقلل بالخلاف وكذا أبو عمرو[2].

المطلب الثالث: طرق معرفة الفواصل القرآنية

كما ذكرنا في المبحث السابق أن للفاصلة في القرآن الكريم مكانة مهمة، فهي تأتي في القرآن الكريم حيث تأتي في مكانها متناسبةً مع موضوع الآية، إذ يتعلق معناها بمعنى الآية كلها، بحيث لو تغير مكانها لاختل المعنى، ولمعرفة الفواصل طريقان:

الأول: توقيفي: فإذا ثبت أن النبي ﷺ وقف عليه دائما تثبتنا أنه فاصلة

والدليل على ذلك ما روي عن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها قالت:

كان رسول ﷺيُقطِّع قراءته يقرأ: (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [3]، ثم يقف (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) [4]، ثم يقف، وكان يقرؤها[5]: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [6].

---

(1) شيء قليل وجمعه قلل، مثل سَريرٍ وسُرُرٍ. وقوم قليلون وقليل أيضا. قال تعالى: (وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ) " الأعراف: آية 86" . وقد قل الشئ يقل قلة: وأقلة غيره وقلَّله في عينه، أي أراه إياه قليلا، والقلة: أعلى الجبل. وقلة كل شيء: أعلاه. ورأس الإنسان قُلّة، والقل بالكسر: شبه الرعدة، يقال: أخذه قل من الغضب. واستقلَّه: عده قليلا. واستقلت السماء: ارتفعت، والقلال بالضم: القليل. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (1804/5، 1805)، مادة (قلل).

(2) ينظر: بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل: الشاطبي(ت590ه)، تأليف: عبد الفتاح القاضي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ــ القاهرة ـ 1975م، (18).

(3) سورة الفاتحة: 2.

(4) سورة الفاتحة: 3.

(5) سنن الترمذي: الترمذي (ت279ه)، أبواب القراءات، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، حديث رقم (2927)، تح: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ط2، 1395ه ـ 1975م، (185/5)، صححه الألباني.

(6) سورة الفاتحة: 4.

والمستفاد من هذا الحديث أن هناك فواصل قرآنية حددت توقيفاً عن النبي ﷺ. هذا ما يخص ما وقف عليه النبي ﷺ دائما وتحققنا أنه فاصلة، أما ما وصله دائما فنتثبت أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى فيحتمل فيه ثلاثة أمور:

1- أن يكون الوقف لتعريف الفاصلة.

2- أن يكون الوقف لتعريف الوقف التام.

3- يحتمل كلا الأمرين: أي يحتمل أن يكون الوقف للاستراحة والوصل فلا يكون فاصلة، ويحتمل أن يكون فاصلة لكنه وصلها [(1)].

الثاني: قياسي ويكون ذلك بإلحاق الفاصلة المحتملة غير المنصوص عليها بالمنصوص أو بإلحاقها بنظيرتها الواردة في موضع آخر للمناسبة بينهما، وليس في ذلك محذور شرعي لأنه ليس في ذلك إحداث زيادة أو نقصان وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل والوقف على كل كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز[(2)].

وقد تطرق بعض العلماء على الطرق التي تعرف بها الفواصل بالقياس وهي:

1- مساواة الآية بما قبلها وما بعدها في الطول والقصر:

فعندما تتبع العلماء الآيات واستقرءوا الفواصل في السور الطويلة والقصيرة وجدوا أن الآيات الطوال لم تجئ إلا في السور الطوال على مقدار متساوٍ، وكذلك لم تجيء القصار إلا في السور القصار والمفصل ، فبذلك استنبطوا أصلاً لمعرفة الفاصلة وهو مساواتها لما قبلها وما بعدها في الطول والقصر، فلذا لم يعدوا قوله ﷻ :(إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) [(3)]. لعدم مساواتها في الطول للسورة التي

(1) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (333/3، 334)؛ وإتقان البرهان في علوم القرآن: فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط1، 1997م، (441/1).

(2) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (333/3، 334)؛ وإتقان البرهان في علوم القرآن: (441/1).

(3) سورة الأنعام: 36.

هي فيها، وعدوا قوله ﷻ :(ثُمَّ نَظَرَ)[1]، لمساواتها في القصر للسورة التي هي فيها، وتجدر الإشـارة إلى أن هذا الحكم الثابت بالاستقراء اغلبي لا يشمل الكل، فالغالب أن آيات السور الطـوال طويلـة، وآيات السور القصار قصيرة، وقد يكون الأمر على خلاف ذلك تبعاً للتوقيف[2].

قال الشاطبي[3]:

---

(1) سورة المدثر: 21.

(2) ينظر: بشير اليسر شرح ناظمة الزهر: (34، 35).

(3) القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي الضرير المقـرئ صـاحب " حـرز الأمـاني " في القراءات، وكان عالما بكتاب اللـه تعالى قراءة وتفسيرا، والحديث، واللغة وكان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تصحح النسخ من حفظه، وكـان يجتنـب فضـول الكـلام ولا ينطـق إلا عـلى طهـارة في هيئـة حسنة وتخشع واسـتكانة، ولـد " بشـاطبة "، وهـي مدينـة كبـيرة ذات قلعـة حصـينة بشرق الأنـدلس، تـوفي سنة(590ه). ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: (71/4-73).

(4) بشير اليسر شرح ناظمة الزهر: (34).

(5) المشاكلة: هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته كقوله تعالى (تَعْلَمُ مَـا فِي نَـفْسِي وَلاَ أَعْلَـمُ مَـا فِي نَفْسِكَ) سورة المائدة: آية: 116"، والمراد: ولا أعلم ما عندك وعبر بالنفس " للمشـاكلة " . جـواهر البلاغـة في المعاني والبيان والبديع، (309/1).

ومَا هُنَّ إلاَّ فِي الطولِ طِوَالُها وَفِي السورِ القُصرَى القِصارُ على قدرِ[1]

2- **المشاكلة[2]:**

إن كل آية جاءت في القرآن فإنما تعتبر بآخر حرف فيها بحيث تكون مشاكلةً لما قبلها وما بعدها في الحرف الأخير نحو قوله ﷻ :(قُلْ هُوَ اللـهُ أَحَدٌ اللـهُ الصَّمَدُ) [3]. فإذا كان قبل الحرف الأخير منها حرف مد نحو " يؤمنون، عظيم، الأنهار" فإن العبرة تكون بالمشاكلة مع اعتبار المساواة في الوزن، وأكثر المشاكلة وقوعا ما كان بحرف المد سواء كان في الآخر أو فيما قبله، وحكمة كثرة وقوع هذا القسم في القرآن الكريم أن حرف المد أدعى إلى التطريب ومد الصوت[4].

المطلب الرابع: نماذج تطبيقية لأنواع الفواصل القرآنية في السورة ومناسبتها لسياق الآية

تكلمنا على أهمية الفاصلة القرآنية في كتاب اللـه ﷻ بشكل موجز وألان نبدأ بأخذ نماذج تطبيقية للفاصلة من سورة الأنعام .

1- قوله ﷻ :(الْحَمْدُ لـلـهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّـذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْـدِلُونَ) [5]. الفاصلة هنا هي قوله تعالى " يعدلون " وهي من نوع الفاصلة المتقاربة بالنسبة للآية التي قبلها وهي البسملة فإن الميم من " الرحيم " متقاربة مع النون من " يعدلون " في المخرج، كما تعتبر من نوع الفاصلة المتماثلة أو المتجانسة، وقد اتفقت مع الفاصلة التي بعدها بحرف الروي وهو الواو، وقد جاءت الفاصلة ههنا وهي " يعدلون " مناسبة لسياق الآية ففي هذه الآية تصريح بأن اللـه ﷻ مستحق للحمد بأجمعه، فهو تعالى له الأوصاف السنية والعلم والقدرة

---

(1) سورة الإخلاص: 1- 2.

(2) ينظر: بشير اليسر شرح ناظمة الزهر: (35، 36، 37).

(3) سورة الأنعام: 1.

والإحاطة والإنعام، وأنه خالق الكون كله: العالم العلوي والسفلي وما في هذا الكون والمعنوية كما أنه خالق النور الذي يُهتدى به في الظلمات، كما جاءت الفاصلة بقوله تعالى " يعدلون"؛ لتدل على قبح فعل الذين كفروا، فأن آيات الله قد سطعت وإنعامه بذلك قد تبين ثم بعد هذا كله عدلوا بربهم، وبعد تلك الدلائل الباهرة والبراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته يشرك الكافرون بربهم فيساوون به أصناماً نحتوها بأيديهم، فهذا كما تقول: "يا فلان أعطيتك وأكرمتك وأحسنت إليك ثم تشتمني" : أي بعد مهلة من وقوع هذا كله[1].

2- قوله ﷻ : (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [2].

الفاصلة هنا هي قوله تعالى: " العليم " وهي من نوع الفاصلة المتقاربة لأن الآيتين – التي قبلها والتي بعدها – مختومة بحرف النون، والنون مقاربة للميم في المخرج، وقد جاءت الفاصلة هنا نتيجة لصدر الآية، لأن المقصود من الإخبار بأن الله ﷻ يملك الساكنات والمتحركات تمهيداً لإثبات عموم علمه، أي: أن لله ﷻ ما في السموات والأرض، وله ماسكن وما تحرك، فالذي سكن بالليل والنهار بعض ما في السموات والأرض، فلما أخبرهم بأنه ﷻ يملك ما في السموات والأرض أخبرهم بأنه يملك ماسكن من ذلك، لأن من شأن المالك أن يعلم مملوكاته وتخصيص الليل بالذكر لأن الساكن في ذلك الوقت يزداد خفاءً كقوله ﷻ(وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ) [3]. وذكر النهار زيادة للشمول ولتحقيق تمام الإحاطة بالمعلومات. فلما ذكَّرنا تعالى بأنه المالك لما ذكر، المتصرف فيه بقدرته بما يشاء كما هو شأن الربوبية الكاملة ذكَّرنا بأنه هو السميع العليم، أي المحيط سمعه بكل ما من شأنه أن يسمع مهما يكن خفياً عن غيره، فهو يسمع

(1) ينظر: تفسير المحرر الوجيز: (265/2، 266)؛ وتفسير المنار: (247/7).

(2) سورة الأنعام: 13.

(3) سورة الأنعام: 59.

دبيب النملة في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء[1] . وقرن العليم بالسميع، دون البصير لإرادة التهديد لمن عبد غيره ، لأن العبادة قول أو فعل، ومن الفعل ما محله القلب وهو الاعتقاد ، ولا يدرك بالبصر بل بالعلم" [2].

3- قوله ﷻ :(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [3].

الفاصلة هنا هي قوله تعالى: " العليم " وهي من نوع الفاصلة المتقاربة لأن الآية التي قبلها وهي قوله ﷻ: (أَفَغَيْرَ اللـهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَـيْكُمُ الْكِتَـابَ مُفَصَّـلاً وَالَّـذِينَ آتَيْنَـاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْـتَرِينَ) [4]. والتـي بعـدها وهـي قولـه ﷻ : (وَإِن تُطِـعْ أَكْـثَرَ مَـن فِي الأَرْضِ يُضِـلُّوكَ عَـن سَـبِيلِ اللــهِ إِن يَتَّبِعُـونَ إِلاَّ الظَّـنَّ وَإِنْ هُـمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) [5]. مختومتان بحرف النون، والنون مقاربة للميم في المخرج، وقد جاءت الفاصلة نتيجة لصدر الآية، إذ تعد هذه الآية بمثابة حلقة الوصل بين أول هذه السورة إلى هذه الآية، وبين ما بعدها إلى آخر السورة، إذ تقدم في أول هذه السورة الكلام على دلائل التوحيد والنبوة والبعث والطعن على مخالفي ذلك، وكان من بعد هذه الآية إلى آخر السورة أحكام وقصص، فناسب ذكر هذه الآية هنا " وتمت كلمة ربك " والمراد بكلماته القرآن: بأمره ونهيه، ووعده ووعيده، والأحكام والآيات. فيكون الصدق في الوعد والوعيد، والعدل في الأمر والنهي، فلا مغير لأقضيته، ولا مبدل لكلمات القرآن فلا يلحقها تغيير، لا في المعنى ولا في اللفظ، ولأن اللـه ﷻ هو السميع لأقوالكم العليم بالضمائر فجاء ذكر هاتين الصفتين هنا: وعيد لمن شملته آيات الذم السابقة ، ووعد لمن

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، (35/6، 36)؛ وتفسير المنار: (275/7).

(2) ينظر: نظم الدرر: (517/2).

(3) سورة الأنعام: 115.

(4) سورة الأنعام: 114.

(5) سورة الأنعام: 116.

أُمر بالإعراض عنهم وعن افترائهم، والتحاكم معهم إلى اللـه، هم الذين يعلمون أن اللـه أنزل كتابه بالحق[1].

4- قوله ﷻ:(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) [2].

الفاصلة هنا هي قوله تعالى: " عليم " وهي من نوع الفاصلة المتقاربة لأن الآية التي قبلها، وهي قوله ﷻ: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) [3]. والتي بعدها وهي قوله ﷻ: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) [4]. مختومتان بحرف النون، والنون مقاربة لحرف الميم في المخرج، وقد جاءت الفاصلة مناسبةً لسياق الآية التي قبلها فقد كانت محاجة إبراهيم عليه السلام لقومه على قانون الحكمة بالعالم العلوي الذي نسبوا الخلق والتدبير بالنور والظلمة إليه وكان قد ذكر في ختام محاجته لهم أن الجاري على قانون الحكمة أن الملك الحق لا يهين جنده فلا خوف عليهم، فناسب ذكر الحكمة والعلم ههنا. وكذلك جاءت الفاصلة مناسبةً لصدر الآية؛ فإنها قد أشارت إلى رفعة سيدنا إبراهيم عليه السلام على قومه بسبب أن اللـه تعالى آتاه الحجة والتي هي علم دقيق يحتاج إلى إحكام وإتقان، وهذا يناسب ذكر الحكمة والعلم ههنا، فإن حكيم بمعنى محكم أي متقن للخلق والتقدير، وأشار بـ" عليم " إلى

(1) ينظر: تفسير القرآن: السمعاني (ت489ه)، تح: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض-السعودية، ط1، 1418ه- 1997م، (138/2)؛ والبحر المحيط: (212/4)؛ والتحرير والتنوير: (18/7).

(2) سورة الأنعام: 83.

(3) سورة الأنعام: 82.

(4) سورة الأنعام: 84.

أن ذلك الإحكام جارٍ على وفق العلم وهو مناسب لإيتاء الحجة أيضا[1].

5- قوله ﷻ:(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ) [2].

الفاصلة هنا هي قوله ﷻ: " بكافرين " وهي من نوع الفاصلة المتماثلة لأن الآية التي قبلها، وهي قوله ﷻ: (ذَلِكَ هُدَى اللـهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [3]. والآية التي بعدها ، وهي قوله ﷻ: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللـهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) [4]. مختومتين بحرف النون، وقد جاءت الفاصلة هنا مناسبةً لأول الآية، إذ دلت هذه الآية على أنه تعالى سينصر نبيه ويقوي دينه، ويجعله مستعلياً على كل من عاداه، قاهرا لكل من نازعه، وبدأ بالكتاب لأنه رتبة العلم، ثم بالحكم، وهو الفصل بين الناس، وتلك رتبة أعلى من العلم، ثم بالنبوة، وهي أشرف منهما[5].

6- قوله ﷻ: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ . وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي

---

(1) ينظر: نظم الدرر: (664/2)؛ وقطف الأزهار: (903/2)؛ والتحرير والتنوير: (191/6).

(2) سورة الأنعام: 89.

(3) سورة الأنعام: 88.

(4) سورة الأنعام: 90.

(5) ينظر: مفاتيح الغيب: (55/13)؛ وقطف الأزهار: (905/2).

ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [1]. في هـذه الآيـات ثـلاث فواصـل، وهـي " يعلمـون ، يفقهـون ، يؤمنون " وقد ختم الآية الأولى بقوله: (لِقَوْمٍ يَعْلَمُـونَ) والثانيـة بقولـه: (لِقَـوْمٍ يَفْقَهُـونَ) والثالثة بقوله: (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وذلك لأن حسـاب النجـوم والاهتـداء بهـا يخـتص بـالعلماء بذلك فناسب ختمه بِـ " يعلمون"، وإنشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهـم مـن صـلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ثم إلى حياة وموت، وتدقيق النظر في لطائف صنع الـلـه ﷻ بمـا تحـار في فهمه الألباب فناسب لذكر " يفقهون " فإن النظر في والفكر فيه أدق، والفقـه فهـم الأشـياء الدقيقة فناسب ختم الآية بـ " يفقهون "، ولما ذكر ما أنعم به على عباده مـن سـعة الأرزاق والأقوات والثمار وأنواع ذلـك ناسـب ختمـه بالإيمـان الـداعي إلى شـكره تعـالى عـلى نعمـه، فجاءت الفواصل في هذه الآيات مناسبة لما ابتدأت به[2].

7- قوله ﷻ:(وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّـا اشْـتَمَلَتْ عَلَيْـهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ الـلـهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَـلَى الـلــهِ كَـذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ الـلـهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [3].

الفاصلة هنا هي قوله تعالى:" الظـالمين " وهـي مـن نـوع الفاصـلة المتماثلـة بالنسـبة لفاصـلة الآيـة التـي قبلهـا، وهـي قولـه ﷻ: (ثَمَانِيَـةَ أَزْوَاجٍ مِّـنَ الضَّـأْنِ اثْنَـيْنِ وَمِـنَ الْمَعْـزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّـا اشْـتَمَلَتْ عَلَيْـهِ أَرْحَـامُ الأُنثَيَـيْنِ نَبِّـؤُونِي بِعِلْـمٍ إِن كُنـتُمْ

(1) سورة الأنعام: 97-99.

(2) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (347/3، 349)؛ وإرشاد العقل السليم: (166/3).

(3) سورة الأنعام: 144.

صَادِقِينَ) [1]. والمتقاربة بالنسبة لفاصلة الآية التي بعدها، وهي قوله ﷻ: (قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [2]. لأن الآية التي قبلها مختومة بحرف النون، والآية التي بعدها مختومة بحرف الميم، والنون والميم متقاربة في المخرج ، وقد جاءت الفاصلة مناسبةً لسياق الآية، فقد جاءت الآية ردا على المشركين في افترائهم في تقسيم الأنعام والانتفاع بها فبينت الآية بطلان شرعهم من خلال التقسيم لأنواع الأنعام الأربعة ذكرا وأنثى، وبينت أن ما زعموه ليس من عند الله مطلقاً، وبينت أنه لا أحد أظلم ممن يفتري على الله الكذب والزور، فجاءت الفاصلة تعليلاً لكونهم أظلم الناس، لأنهم بمعزل عن طلب الهدى، كما بينت الفاصلة التهديد والوعيد للظالمين الذين يفترون على الله الكذب[3].

8- قوله ﷻ: (ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) [4].

الفاصلة هنا هي قوله ﷻ: " غافلون " وهي من نوع الفاصلة المتماثلة أو المتجانسة لأن الآية التي قبلها، وهي قوله ﷻ: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ) [5]. والآية التي بعدها، وهي قوله ﷻ: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) [6]. مختومتان بحرف النون، وقد

(1) سورة الأنعام: 143.

(2) سورة الأنعام: 145.

(3) ينظر: التحرير والتنوير: (101/7).

(4) سورة الأنعام: 131.

(5) سورة الأنعام: 130.

(6) سورة الأنعام: 132.

جاءت الفاصلة هنا نتيجة لصدر الآيـة، فقولـه ﷻ: " ذلـك " إشـارة إلى مـا تقـدم مـن بعثـة الرسـل والأنبياء، وإنذارهم سوء العاقبة، إذ بينت الآية أن الـلـه ﷻ العدل الحق لا يعذب الكفـار، لانتفـاء كون ربك مهلك القرى وأهلها غافلون، فليس المراد من هذه الغفلة أن يتغافل المرء عـما يـوعظ بـه بل معناه أن لا يبيّن الـلـه ﷻ لهم كيفية الحال ولا أن يزيل عذرهم وعلتهم. فيرسـل إلـيهم الأنبيـاء والرسل ومعهم الآيات ـــــ المعجزات ــــ حتى يوقظهم من غفلاتهم، لأن الإنذار الإيقاظ من الغفـلات عـن المنذر به[1].

9- قوله ﷻ: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ . وَرَبُّـكَ الْغَنِـيُّ ذُو الرَّحْمَـةِ إِن يَشَـأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء كَمَآ أَنشَأَكُم مِّـن ذُرِّيَّـةِ قَـوْمٍ آخَـرِينَ . إِنَّ مَـا تُوعَـدُونَ لآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) [2].

الفاصلة هنا هي قوله تعالى " آخرين " وهي من نوع الفاصلة المتماثلـة، لأن الآيتـين – التـي قبلها والتي بعدها – مختومتان بحرف النون، وقد جاءت الفاصلة مناسبةً لسياق الآية، إذ أن الـلــه تعالى هو الغنى عـن خلقـه لا يحتـاج إلـيهم، ولا إلى عبـادتهم لا ينفعـه إيمـانهم ولا يضره كفـرهم، فأخبرهم عن أفضاله فبجلاله يكاشفهم فيفتيهم، وبأفضاله يلاطفهم فيحييهم، فهـم في سـماع هـذه الآية مترددون بين بقاء وبين فناء، وبين إكرام وبين اصطلام، وبين تقريب وبين تذويب، وبـين اجتيـاح وبين ارتياح . فما أحسن هذا الكلام الرباني وأبلغه، وما أقـوى الاقـتران بـين الغنـى والرحمـة في هـذا المقام، فلا يكون غناه عنهم مانعا من رحمته لهـم فـإن الرحمـة لهـم مـع الغنـى عـنهم هـي غايـة التفضل[3].

---

(1) ينظر: الكشاف: (398/2)؛ ومفاتيح الغيب: (152/13)؛ وكشف المعاني: (167/1).

(2) سورة الأنعام: 132- 134.

(3) ينظر: لطائف الإشارات: (504/1)؛ وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين بن عبدالله الأرمي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، 1421ه- 2001م، (64/9).

10- قوله ﷻ: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [1].

الفاصلة هنا هي قوله ﷻ: " تذكرون " وهي من نوع الفاصلة المتماثلة أو المتجانسة لأن الآية التي قبلها والآية التي بعدها قد ختمتا بحرف النون، وقد جاءت الفاصلة هنا مناسبةً لسياق الآية، فبعد أن ذكر الله ﷻ في الآية السابقة التكاليف الخمسة التي لا يحتاج الفكر فيها إلى التأمل والتدبر، ذكر في هذه الآية أربعة أنواع من التكاليف وهي أمور خفية غامضة يحتاج المرء العاقل في معرفته بمقدارها إلى التفكر والتأمل والاجتهاد. وهذه الأنواع "النهي عن الاقتراب من مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، وإيفاء الكيل والميزان بالقسط، والعدل في القول سواءً في شهادة أو في حكم أو غيرها، ولا تحابوا أحدا طمعاً في مناصرته أو خوفاً من مضارته، وبعهد الله أوفوا"، ولما بين أحوال هذه الأنواع الأربعة الخفية، جاءت الفاصلة " تذكرون " مناسبة لهذه الأنواع الأربعة التي فيها حض على التذكر في الوصية بها، فإنها خفية تحتاج إلى مزيد تدبر وتأمل[2].

(1) سورة الأنعام: 151- 153.

(2) ينظر: مفاتيح الغيب، (13/179-181)؛ ونظم الدرر:(2/741 ـ 743).

قبل الكلام على التناسق الموضوعي والوحدة الموضوعية نود أن نشير بأن دراستنا اقتضت إدخال هذين الموضوعين في الدراسة إلى جانب التناسب لكونهما عنصرين أساسين في الموضوع، ولأنهما من موضوعات التناسب الأساسية.

الفصل الثاني

التناسق الموضوعي والوحدة الموضوعية

في سورة الأنعام.

المبحث الأول

التناسق الموضوعي في سورة الأنعام.

المطلب الأول: مفهوم التناسق الموضوعي للسورة، ونشأته

أولاً: مفهوم التناسق الموضوعي للسورة:

قبل الدخول في التناسق الموضوعي في سورة الأنعام، ينبغي تعريف "التناسق الموضوعي في السورة والذي هو مركب وصفي، فقد درج العلماء عند تعريف المفاهيم المركبة على أن يبدؤوا بتعريف كل مفردة على حدة ثم ينظروا في تعريف تلك المفاهيم بعد التركيب[1].

التناسق لغة واصطلاحاً

التناسق لغة: ما جاء من الكلام على نظام واحد، والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأَن الشيء إذا عطفته على شيء صار نظاماً واحداً[2].

قال ابن فارس[3]: " النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء، وكلام نسق: جاء على نظام واحد، وأصله قولهم: ثَغْرٌ نَسَقٌ، إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية، وخَرَزٌ نَسَقٌ: مُنَظَّم "[4]، قال ابن سيده[5]:

---

(1) ينظر: التناسق الموضوعي في السورة القرآنية: محمد بن عمر بن سالم بازمول: موقع جامعة أم القرى: 93190571https://uqu.edu.sa/page/ar/، (8)، "بحث".

(2) ينظر: تهذيب اللغة: (313/8) مادة "نسق"؛ ولسان العرب: (353/10)، مادة " نسق ".

(3) هو الإمام العلامة اللغوي المحدث، أبو الحسين، احمد بن فارس بن زكريا القزويني المالكي، كان رأسا في الأدب، بصيراً بفقه مالك، صاحب كتاب " المجمل "، مولده بقزوين، ومرباه بهمذان، وأكثر إقامته بالري ومات فيها سنة (395ه) / ينظر: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417ه – 1996م، (103/17، 104).

(4) مقاييس اللغة: (420/5)، مادة: " نسق ".

(5) هو الإمام اللغوي أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده المرسي، ولد بمرسية شرق الأندلس، إمام في اللغة والعربية حافظ لهما، ومن مؤلفاته كتاب " المخصص " و " المحكم "، وكان هو وأبوه ضريرن توفي سنة (458ه)؛ ينظر: وفيات الأعيان، (330/3، 331).

" نَسقُ الشَّيْءِ يَنْسُقُه نسقاً، ونَسقَهُ: نَظَمَهُ على السواءِ"[1].

أما التناسق اصطلاحاً: فهو توالي الكلمات متتالية وتلاحمها تلاحماً سليماً لائقاً بحيث إذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها، وهذا المصطلح لم يخرج معناه عن المعنى اللغوي[2].

2- **الموضوعي لغة واصطلاحاً**

الموضوعي نسبة إلى الموضوع وهو لغة مشتق من " الوضع" يقال: وضعت الشيء أضعه وضعاً، وهو ضد الرفع وأعم من الحطِّ[3]. قال ابن فارس: " الواو والضاد والعين: أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطّه"[4] وقد يستعمل بمعنى آخر مقارب لهذا المعنى الأول وهو: تثبيت الشيء في المكان يقال: وضع الشيء في المكان، إذا أثبته فيه[5].

أما " الموضوعي " في اصطلاح المفسرين فهو أيضا نسبة إلى " الموضوع " وهو اصطلاح محدث استعمله المعاصرون، فليس غريباً أن لا نجد له تعريفاً اصطلاحياً في كتب المتقدمين، وقد اختلف المعاصرون في تعريفه، فقيل هو: " القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم، ولها جهة واحدة تجمعها عن طريق المعنى الواحد أو الغاية الواحدة "[6]، وقيل هو: " قضية، أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة

(1) المحكم والمحيط الأعظم: (239/6)، مادة " نسق ".

(2) ينظر: الكليات: الكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د،ط)، 1419ه-1998م، (410/1)؛ والتناسق الموضوعي في السورة القرآنية، (8).

(3) ينظر:تهذيب اللغة:(48/3)، باب "العين والضاد"؛ والمفردات في غريب القرآن: (874/1).

(4) مقاييس اللغة: (117/6)، مادة "وضع".

(5) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: (296/2).

(6) المدخل إلى التفسير الموضوعي: د.عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 1406ه-1986م، (20).

أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم "[1]. وقيل هو: نظم كلمات القرآن وآياته وجمله بطريقة هي غاية في التناسق والتناسب، وبمنتهى الدقة والإحكام لتؤدي المعنى المراد، على أبلغ وجه[2]. ويلاحظ أن هذه التعريفات الثلاثة تصب في معنى واحد وإن تعددت ألفاظها وأساليب صياغتها.

وخلاصة القول أن "الموضوعي": هو نظم كلمات القرآن وآياته وجمله، وهو قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي.

3- السورة لغةً واصطلاحاً

"السّورة: المنزِلة، والجمع سُوَر، والسورة من القرآن كأنها درجة أو منزلة يفضى منها إلى غيرها في لغة من لم يهمز" [3]، وتعرف أيضا بأنها: "كل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن، لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى. والجمع سور بفتح الواو "[4].

أما السورة في الاصطلاح: فهي الواحدة من سور القرآن وقد عرفها الجعبري[5].

بقوله: "السورة قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات"[6].

(1) مباحث في التفسير الموضوعي : (16).

(2) ينظر: أسرار إعجاز القرآن: د. جمال مصطفى النجار، مكتبة الحسين الإسلامية القاهرة، ط1، 1417ه- 1997م، (135/1).

(3) جمهرة اللغة: (722/2، 723)، مادة "رسو".

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (690/2)، مادة: " سنمر ".

(5) هو: شيخ القراء برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الربعي الجعبري الشافعي، ولي مشيخة الحرم ببلاد الخليل عليه السلام، له تصانيف كثيرة منها الإفهام والإصابة في مصطلح الكتابة، وشرح كبير للشاطبية، توفي سنة (732ه) عن تسعين سنة، ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي،(ت764ه)، تح: احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (د،ط)، 1420ه-2000م، (49/6، 50).

(6) البرهان في علوم القرآن: (264/1)؛ والإتقان في علوم القرآن: (186/1).

وعرفها الزرقاني[1]: " بأنها طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع"[2].

مفهوم التناسق الموضوعي بعدّه مركباً وصفياً

بعد أن ذكرنا دلالات المفردات التي تضمنها مصطلح "التناسق الموضوعي" لغةً واصطلاحاً نبين مفهومه بعدِّه مركباً وصفياً.

فالتناسق الموضوعي هو عبارة عن: "تتابع القضايا، وانتظامها وترتيبها في القرآن العظيم وسوره"[3].

والتناسق الموضوعي أيضاً هو عبارة: " تماسك المواضيع المتشعبة للسورة القرآنية وتناسبها، ودورانها ضمن نسق وسياق واحد دون تنافر أو تفكك"[4].

فإن من يعش في ظلال القرآن يلحظ أن لكل سورة من سوره خصيصة مميزة ولها موضوع رئيس أو عدة موضوعات رئيسة مشدودة إلى محور خاص. ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو[5].

ثانياً: نشأته:

ظهرت تسمية هذا النوع من العلم بـ (التناسق الموضوعي) في العصر الحديث، وكان معناه المراد من قبل مندرجاً تحت اسم "المناسبات". وقد ذكر العلماء أن من إعجاز

---

(1) محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. توفي بالقاهرة سنة 1948م، من كتبه، " مناهل العرفان في علوم القرآن "؛ الأعلام: (210/6).

(2) مناهل العرفان في علوم القرآن: (285/1).

(3) التناسق الموضوعي في السورة القرآنية: (10).

(4) التناسق الموضوعي في سورة الأنفال: رسالة ماجستير للطالب: بدر إبراهيم رجاء الذيابي، بإشراف الدكتور: طه عابدين طه، جامعة أم القرى- كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، 1433ه-2012م، (30).

(5) ينظر: في ظلال القرآن: (27، 28).

القرآن الكريم ارتباط آياته بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني[1].

ويعدّ ابن العربي(ت543هـ) من العلماء القدامى الذين تكلموا على التناسق الموضوعي، فقد ذكر عدد من العلماء بأنه عرّفه بقوله: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[2]. ويقصد بقوله: "متسقة المعاني منتظمة المباني" أي: اتساق المعاني، للربط بين الموضوعات وهو التناسق الموضوعي، وانتظام المباني هو المناسبات[3].

وتكلم الرازي(ت606هـ) على التناسق الموضوعي والوحدة الموضوعية أثناء تفسيره سورة فصلت فقال: "كل من أنصف ولم يتعسف علم أنا إذا فسرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه صارت هذه السورة من أولها إلى آخرها كلاما واحدا منتظما مسوقاً نحو غرض واحد"[4].

ويعدّ الدكتور محمد عبدالله دراز(ت1377هـ) من العلماء المعاصرين الذين تكلموا على التناسق الموضوعي إذ قال: "أجل، إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً؛ فإذا هي -لو تدبرت- بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة"[5].

---

(1) ينظر: التناسق الموضوعي في السورة القرآنية: (25).

(2) البرهان في علوم القرآن: (36/1)؛ ونظم الدرر: (6/1)؛ والإتقان في علوم القرآن: (369/3).

(3) التناسق الموضوعي في السورة القرآنية: (26).

(4) مفاتيح الغيب: (570/27).

(5) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: محمد عبدالله دراز: دار الثقافة، الدوحة، ط 1985، (188).

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية على التناسق الموضوعي في سورة الأنعام

إذا تدبرنا سورة الأنعام نجد أنها تركز على العقيدة شأنها في ذلك شأن السور المكية الأخرى. لكن لها أسلوبها الخاص في تناول موضوع العقيدة؛ إذ نجد أنها ركزت على الحوار الشامل مع الكفار وإقامة الحجة عليهم بنقض عقائدهم الباطلة وتقرير العقيدة الصحيحة بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة والحجج المتنوعة، وجاءت موضوعات هذه السورة متناسقة متماسكة فيما بينها بعضها آخذ بأعناق بعض حتى تبدو كأنها قطعة واحدة [1]. ولإيضاح ذلك نقول:

تتألف سورة الأنعام من قسمين:

القسم الأول: يبدأ من أول السورة وهو قوله ﷻ:) الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) [2]، ويمتد حتى نهاية الآية (94) وهي قوله تعالى:) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) [3]، ونلاحظ أن الآية الأولى في القسم الأول تتحدث عن الشرك في الدنيا، وأن الآية الأخيرة تتحدث عن الشرك وأهله يوم القيامة.

أما القسم الثاني فيبدأ من الآية (95) وهي قوله ﷻ: (إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) [4]، حتى نهاية السورة أي نهاية الآية(165) وهي قوله ﷻ:(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ

(1) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (396/2).

(2) سورة الأنعام: 1.

(3) سورة الأنعام: 94.

(4) سورة الأنعام: 95.

بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1]، والتناسق بين المقاطع واضح فإن الآية الأولى تتحدث عن بعض النعم التي خلقها الله للإنسان والتي منها الحب والنوى الذي هو أساس النبات، والآية الثانية تتحدث عن نعمة كون الإنسان خليفة الله على هذه الأرض فهو مكلف بإعمارها[2].

ويتألف القسم الأول من سورة الأنعام من ثلاثة مقاطع، ويتألف القسم الثاني من مقطعين، وسنقتصر في هذا المطلب على الحديث عن القسم الأول فقط؛ خشية الإطالة غير الضرورية؛ ولغرض الإيضاح وبيان الفرق بين التناسب والتناسق الموضوعي.

المقطع الأول من القسم الأول في السورة: يبتدئ من الآية (1) إلى نهاية الآية (17)، وفيه مقدمة تبتدئ من الآية (1) وتنتهي بالآية (3).

فالسورة تتضمن حواراً شاملاً مع الكافرين بكل الاتجاهات الرئيسة للكفر سواء كانت نظرية أو عملية[3]، ومحورها الأساسي هو إقامة الحجة على الكفار بنقض عقائدهم الباطلة وتقرير العقيدة الصحيحة بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة والحجج المتنوعة[4]. وقد استهلت السورة الكريمة المقطع الأول بالحديث عن الركيزة الأساسية للعقيدة الإسلامية، وهي الإيمان بالله تعالى، حيث يعرفنا ربنا بذاته وصفاته وأفعاله ويذكرنا بنعمه وعنايته ولطفه بعباده، فجاءت الآيات الثلاث الأولى وهي قوله ﷻ: (الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ . هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ . وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)[5]. تقرر هذه المعاني وتبني

---

(1) سورة الأنعام: 165.

(2) ينظر: الأساس في التفسير: دار السلام، ط1، 1405ه- 1985م، (1566/3، 1567).

(3) ينظر: م. ن: (1661/3).

(4) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (396/2)؛ وفي ظلال القرآن: (1030/2).

(5) سورة الأنعام: 1-3.

عليها، فمن أعظم النعم وأجلها نعمة خلق السموات والأرض، وخلق الظلمات والنور، وتقرر أيضاً أن الله ﷻ خلق الإنسان من طين، وهذا يشكل مقدمة للسورة تتناسق تناسقاً جميلاً مع مضمونها وما تدعو إليه محاورها، ألا وهو توحيد الله تعالى والتعجب من كفر الكافرين مع وجود كل تلك النعم، وتأتي الآيات السبع -التي بعد المقدمة- لتحدثنا عن موقف الكافرين، وبيان كفرهم بآيات الله تعالى وإعراضهم عنها، فهم معرضون عن جميع الآيات الكونية والإنسانية مع وضوحها، وتجددها وتتابعها، وكيف أنهم يكذبون بالحق إن جاءهم، وأنه لو أنزل عليهم كتاب من السماء فلمسوه بأيديهم لزعموا أنه سحر، (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ . أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ . وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ . وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ . وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ) [1].

وهكذا نجد أن الفقرة التي تأتي بعد مقدمة سورة الأنعام كلها تصب في الحوار مع الكافرين، وذلك يتناسق مع محور السورة وموضوعها الذي تتحدث عنه، ثم يختم المقطع بأوامر توجه إلى الرسول ﷺ تأمره أن يعلن فيها عدة أمور، جاءت على صيغة أوامر مصدرة بلفظ " قل "، وهي بمجموعها تدل على الدواء، فمن أراد من أهل الكفر أن يؤمن فهذا هو الطريق، وهذه الأمور هي:

1. السير في الأرض والاعتبار بعاقبة المكذبين.
2. معرفة مالكية الله لكل شيء ورؤية رحمة الله ﷻ في كل شيء.

(1) سورة الأنعام: 4-10.

3. رؤية خلق الـلـه للكون كله وأن يرتب على ذلك إسلام الوجه لـلـه ﷻ.

4. إعلان المسلم خوفه من عذاب الـلـه تعالى.

وهكذا نجد أن المقطع الأول في السورة فصَّل في مضمون محـور السـورة، وبنـى عليـه حـوار الكافرين وخاطبهم، وبين الموقف الصحيح لأهل الإيمان[1].

المقطع الثاني من القسم الأول: ويبتدئ هذا المقطع من الآية (18) أعني قولـه تعـالى:(وَهُـوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)[2]. إلى نهاية الآية (73) أعني قوله تعالى:(وَهُوَ الَّذِي خَلَـقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُـهُ الْحَـقُّ وَلَـهُ الْمُلْـكُ يَـوْمَ يُـنفَخُ فِي الصُّـوَرِ عَـالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)[3].

نلاحـظ أن الآيـة الأولى في هـذا المقطـع تنتهـي بقولـه تعـالى: " وهـو الحكـيم الخبـير" والآية الأخيرة تنتهي بذلك أيضـاً، وبـين البدايـة والنهايـة تفصـيل لمظـاهر مـن قهـر الـلــه ﷻ وحكمته وعلمه وإقامة الحجة على الناس بذلك، ويتألف المقطع مـن مجمـوعتين، الأولى تبـدأ بقوله تعالى: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)[4]. وتستمر حتـى الآيـة المبـدوءة بقوله تعالى: " وهو " وفيها تفصيل لمظهر من مظـاهر القهـر الإلهـي، وهـي قولـه ﷻ (وَهُـوَ الَّـذِي يَتَوَفَّـاكُم بِاللَّيْـلِ وَيَعْلَـمُ مَـا جَـرَحْتُم بِالنَّهَـارِ ثُـمَّ يَبْعَـثُكُمْ فِيـهِ لِـيُقْضَى أَجَـلٌ مُّسَـمًّى ثُـمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[5]، ثم تأتي الجولـة الثانيـة مـن هـذا المقطـع وتبـدأ كذلك بقوله ﷻ :(وَهُـوَ الْقَـاهِرُ فَـوْقَ عِبَـادِهِ وَيُرْسِـلُ عَلَـيْكُم حَفَظَـةً حَتَّـىَ إِذَا جَـاء أَحَـدَكُمُ

(1) ينظر: الأساس في التفسير: (3/1565-1593).

(2) سورة الأنعام: 18.

(3) سورة الأنعام: 73.

(4) سورة الأنعام: 18.

(5) سورة الأنعام: 60.

الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ) [1] وتنتهي بقوله تعالى:(وَهُوَ الَّـذِي خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَـهُ الْمُلْـكُ يَـوْمَ يُـنفَخُ فِي الصُّـورِ عَـالِمُ الْغَيْـبِ وَالشَّـهَادَةِ وَهُـوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) [2].

فهاتان مجموعتان في مقطع واحـد يفصِّـل في القهـر الإلهـي والحكمـة والعلـم، ومـن خـلال التأمل في المجموعتين نرى أن المجموعة الأولى يغلـب عليهـا التفصـيل في القهـر الإلهـي، في حـين أن الجولة الثانية يغلب عليها التفصيل في الحكمـة والعلـم، ونلاحـظ أن بدايـة المجموعـة الأولى: (وَهُـوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) [3]. يتناسق مـع بدايـة الجولـة الثانيـة: (وَهُـوَ الْقَـاهِرُ فَـوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ) [4].

ومن هاتين البدايتين ندرك مـا قلنـاه مـن أن المجموعـة الأولى يغلـب عليهـا التفصـيل في القهر الإلهي، وأن المجموعة الثانية يغلب عليها التفصيل في الحكمة والعلـم، وكلتـا المجمـوعتين تفصلان في القهر الإلهـي والحكمـة والعلـم، فالمجموعـة الأولى تبـدأ بالحـديث عـن قهـر اللــه وحكمته وعلمه، وتنتهي بالحديث عن مظاهر من علمه وحكمته وقهـره كـما في قولـه تعـالى:(وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِـن وَرَقَـةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَـا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَـابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَـابٍ مُّبِـينٍ) [5]. وبـين ذلـك حـديث عـن مظـاهر العلـم والقهـر والحكمـة كـما في الآيـات. (قُـلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْـبَرُ شَـهَادةً) [6]. (وَمَـا مِـن

(1) سورة الأنعام: 61.

(2) سورة الأنعام: 73.

(3) سورة الأنعام: 18.

(4) سورة الأنعام: 61.

(5) سورة الأنعام: 59.

(6) سورة الأنعام: 19.

دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [1]. (وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ) [2]، ومن خلال هذا وذاك نرى التناسق والترابط بين آيات هذه المجموعة[3].

أما المجموعة الثانية من المقطع الثاني: فتبتدئ من الآية (61) وهو قوله ﷻ:(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ) [4]. إلى نهاية الآية (73) وهو قوله ﷻ: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) [5].

تعدُّ هذه المجموعة من الآيات امتداداً للمقطع الثاني، ودليلاً على التناسق والتماسك بين آيات السورة فهي تذكرنا بالقهر الإلهي، والعلم الإلهي، والحكمة الإلهية فالمجموعة بعد أن تذكرنا في آياتها الأولى بمظاهر علم الله، وحكمته، وقهره من خلال التذكير بالموت، والحساب، واستجابة الدعاء حال الكرب، والتعذيب في الدنيا كما في قوله ﷻ: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ . ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ . قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ . قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن

---

(1) سورة الأنعام: 38.

(2) سورة الأنعام: 49.

(3) ينظر: الأساس في التفسير: (1594/3-1611).

(4) سورة الأنعام: 61.

(5) سورة الأنعام: 73.

فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) [1]، فهذه المجموعة من الآيات بعد أن تذكرنا بكل هذا تذكر رسول الله ﷺ أنه مع هذا كله فإن قومه يكذبون بالقرآن كما في قوله ﷻ: (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ) [2]، وفي هذا السياق يُذكِّر الله ﷻ رسوله ﷺ -وهو تذكير لنا- أن لا يجلس مع القوم الظالمين حال خوضهم في آيات الله تعالى، كما في قوله ﷻ:(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) [3]، وأن يُعرض عمن اتخذ دينه لعباً ولهواً كما في قوله ﷻ: (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ) [4].

فالمقطع في مجموعته يقيم الحجة على الكافرين، ويبين لهم فساد ما هم فيه، ويحدد للمسلم بعض المواقف منهم، وذلك يتناسق مع محور السورة الذي ينكر على الكافرين كفرهم، ويعجب من حالهم، ومن ثم نرى المقطع ينتهي بقوله ﷻ : (قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [5].

والحاصل أن هذا المقطع قد بدأ بقوله ﷻ: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ

---

(1) سورة الأنعام: 61-65.

(2) سورة الأنعام: 66.

(3) سورة الأنعام: 68-69.

(4) سورة الأنعام: 70.

(5) سورة الأنعام: 71.

الْخَبِيرُ)[1]، وانتهى بآية مبدوءة ومختومة بما ابتدئت، واختتمت به هذه الآية وهي قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)[2]،فبين بداية المقطع ونهايته تناسق تام؛ إذ ختم هذا المقطع كله بتقرير أن الله ﷻ هو الذي خلق السموات والأرض بالعدل، فهو مالكهما وخالقهما، والمدبر لهما ولمن فيهما، وكما ذكر بدء الخلق، فقد ذكر في هذا المقام أنه كذلك الخالق ليوم القيامة، ثم ذكر أن من صفاته أن: " قوله الحق"، "وله الملك"، ثم وصف ذاته بأنه "عالم الغيب والشهادة"، "وأنه الحكيم الخبير".

إن السياق الخاص للمقطع كله بمجموعتيه يكاد يكون عرضاً لمظاهر من قهر الله وحكمته وعلمه، وهي المعاني التي ذكرتها أول آية فيه، ولذلك رأينا في المقطع مظاهر من قهره ﷻ في الدنيا وفي الآخرة، ورأينا استعراضاً لمظاهر من علمه، وحكمته، ولعل آخر آية في المقطع تدل على هذا كله وهي قوله ﷻ: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)[3]،ومن خلال مظاهر حكمة الله وعلمه تقام الحجة على الكافرين، ومن خلال مظاهر القهر الإلهي يعجب الإنسان من كفر الكافرين، وذلك يتناسق مع السورة بصورة واضحة؛ إذ المحور يقيم الحجة على الكافرين من خلال مظاهر الحياة والعناية، ومن خلال التذكير بالعلم والحساب، والعجب من كفر الكافرين، ولقد رأينا سياق سورة الأنعام يكاد يكون عرضاً لمظاهر خلق الله للأشياء والإنسان، وكيف ينحرف المنحرفون مع ذلك فيشركون ويمترون، ولقد رأينا كيف أن المجموعة من

(1) سورة الأنعام: 18.

(2) سورة الأنعام: 73.

(3) سورة الأنعام: 73.

هذا المقطع ركزت على الشرك وحاورت أهله، وهكذا نجد أن المقطع بمجموعتيه يمضي على نسق واحد مع السياق الخاص للسورة، وهو مع هذا وذاك يفصِّل محور السورة[1].

المقطع الثالث من القسم الأول: ويمتد من الآية (74) وهو قوله ﷻ: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)[2]. إلى نهاية الآية (94) وهو قوله ﷻ: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ)[3]. فهنا يبدأ المقطع بالكلام على التوحيد من خلال مخاطبة إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر، ثم ينتقل الكلام إلى مقام آخر وهو إقامة الحجة لربوبية الله تعالى، وفساد ما كانوا يعبدون من دون الله كما في قوله ﷻ: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[4]، وينتهي بعرض مشهد من مشاهد يوم القيامة يُؤنب فيه المشركين كما في قوله ﷻ:(وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ

(1) ينظر: الأساس في التفسير: (1663/3-1668).

(2) سورة الأنعام: 74.

(3) سورة الأنعام: 94.

(4) سورة الأنعام: 75-79.

بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) [1].

وفي وسط المقطع نرى كلاماً من دعاة التوحيد ونقاشاً وحواراً مع أهل الشرك والكفر في قوله تعالى: (وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللـهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ . وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللـهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) [2]، وقوله تعالى:(وَمَا قَدَرُواْ اللـهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللـهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللـهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) [3].

ومما يدل على التناسق الموضوعي للسورة، ويؤكد صلته بالسياق الخاص لسورة الأنعام الذي حددته الآيات الأولى فيها كما في قوله ﷻ: (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) [4]. وقوله تعالى :(ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ) [5]. أن هذا المقطع يتناسق تناسقاً تاماً في سياقه ووحدة موضوعه فهو يتناول موضوعاً متصل الفقرات ويعالج الموضوع الأساسي في السورة- وهو بناء العقيدة على قاعدة من التعريف الشامل بحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، وما بينهما من ارتباطات- ولكنه يعالجه في أسلوب آخر غير ما جرى

(1) سورة الأنعام: 94.

(2) سورة الأنعام: 80-82.

(3) سورة الأنعام: 91.

(4) سورة الأنعام: 1.

(5) سورة الأنعام: 2.

به السياق أول السورة وهو "أسلوب القصص، والتعقيب عليها" مع استصحاب المؤثرات الموحية التي تزخر بها السورة، وهذا كله يصب في محور السورة كما لا يخفى على المتأمل، وكل هذه المعاني تتناسق مع السياق الخاص لسورة الأنعام وتنسجم معه، ولذلك ذكر في أول المقطع وأوسطه الشرك، والمقطع بمجموعه يعمق المعنى الصحيح للتوحيد[1].

(1) ينظر: في ظلال القرآن: (1137/2، 1138)؛ والأساس في التفسير(1685/3-1695).

المبحث الثاني

الوحدة الموضوعية في سورة الأنعام.

المطلب الأول : مفهوم الوحدة الموضوعية للسورة، ونشأتها

أولا: مفهوم الوحدة الموضوعية:

تعددت عبارات العلماء في تعريف الوحدة الموضوعية فعرفوها عدة تعريفات نذكر منها ما يأتي:

1. الوحدة الموضوعية هي: " البحث عن القضايا التي عرض لها القرآن الكريم في سوره المختلفة ليظهر ما فيها من معانٍ خاصة تتعلق بالموضوع العام الذي نبحثه لنحقق الهدف وهو الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم "(1).
2. وتعرف الوحدة الموضوعية بأنها: " النظر في السورة القرآنية أو دراستها لمعرفة موضوعها الذي يسيطر عليها وتهتم بمعالجته، سواء كان موضوعاً واحداً بالفعل أم عدَّة موضوعات يضمها نسيج واحد يشد بعضه بعضاً مهما تنوعت ألوانه أو زخارفه "(2).
3. وتعرف أيضاً: بأن يختار الباحث سورة وينظر فيها نظرة موضوعية متدبرة ويقف مع آياتها وقفة مطولة، ويتعرف على موضوع السورة ومقاصدها وأهدافها، وعلى الخطوط الرئيسة التي تجمع مختلف موضوعاتها الفرعية، ويخرج من ذلك بتحليل موضوعي موسع تبدو معه السورة وحدة موضوعية

(1) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم: محمد محمود حجازي: مطبعة المدني- القاهرة، (د،ط)، 1390ه-1970م، (33).

(2) التناسب الموضوعي في القصص القرآنية: مليكة نايت لشقر: رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس، آداب الرباط، 1999م، (209).

متناسقة[1].

وأرجح هذه التعريفات في رأي الباحث هو التعريف الثالث لما فيه من شمولية لموضوع الوحدة الموضوعية، وأيضا لما فيه من تدبر آيات القرآن، والتعرف على موضوع السورة ومقاصدها وأهدافها اللذين يساعدان على فهم الوحدة الموضوعية للسورة.

ثانيا: نشأتها:

تعدُّ الوحدة الموضوعية للسورة في القرآن الكريم من الموضوعات المهمة والبارزة في علم التناسب؛ ويوضح الدكتور محمد عبدالله دراز[2] ذلك بقوله : " لعمري لئن كان للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءته الصادقة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ، لعمري إنه في ترتيب آية على هذا النحو لهو معجزة المعجزات "[3].

وقد تكلم على الوحدة الموضوعية عدد من العلماء القدامى والمحدثين، ويمكن إجمال أقوال أشهرهم بما يأتي:

أ-القدامى ونعرض لثلاثة منهم، بما يأتي:

1. ابن قيم الجوزية[4](ت751هـ):

---

(1) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: صلاح عبد الفتاح الخالدي: دار النفائس- الأردن، ط1، 1997م، (16).

(2) محمد بن عبد الله دراز: فقيه متأدب مصري أزهري. كان من هيأة كبار العلماء بالأزهر، له كتب، منها " الدين "، و" دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام"، توفي سنة " 1377ه-1958م " الأعلام: (246/6).

(3) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: (211/1).

(4) الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية سمع على أبي نصر محمد بن عماد الدين الشيرازي وابن مكتوم والبهاء بن عساكر، وقرأ على الشيخ تقي الدين ابن تيمية وجماعة كثيرة ومن مؤلفاته: زاد المعاد في هدى دين العباد، وطريق السعادتين، وغيرها من الكتب، (ت751ه). ينظر: الوافي بالوفيات:(195/2-197).

ظهرت ملامح الوحدة الموضوعية للسورة عند بعض العلماء من المتقدمين، وتنبهوا إلى موضوعات السورة المختلفة، وممن تنبَّه إلى وحدة موضوع السورة الإمام ابن قيم الجوزية (ت751هـ) حيث ضرب لنا في وحدة موضوع السورة عند تفسيره عدَّة آيات من سورة العنكبوت بقوله: "فمضمون هذه السورة هو سر الخلق والأمر فإنها سورة الابتلاء والامتحان وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة ومن تأمل فاتحتها ووسطها وخاتمتها وجد في ضمنها أن أول الأمر ابتلاء وامتحان ووسطه صبر وتوكل وآخره هداية ونصر"[1].

2. أبو إسحاق الشاطبي(ت790هـ):

كما ظهرت ملامح الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية مع تنوع القضايا ألتي درسها أبو إسحاق الشاطبي (ت790هـ)، حيث يرى أنه لابد من النظر في أول الكلام وآخره من جهة تعدد القضايا في السورة الواحدة أو من جهة النظم، فاعتبار جهة النظم مثلا في السورة لا تتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها[2]. وضرب الشاطبي مثلا من سورة " الأنعام " التي تنوعت فيها القضايا التي تضمنتها، وبيَّن أن جميع آياتها تدور على مقصود واحد، فقد قال في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)[3]: " فإن سياق الكلام يدل على أن المراد بالظلم أنواع الشرك على الخصوص، فإن السورة من أولها إلى آخرها مقررة لقواعد التوحيد، وهادمة لقواعد الشرك وما يليه "[4].

---

(1) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: (د.ت)، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1398ه-1978م، (247).

(2) ينظر: الموافقات: تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن عفان، ط1، 1417ه-1997م، (267/4، 268).

(3) سورة الأنعام: آية: 82.

(4) ينظر: م.س: (27/4).

3. **البقاعي(ت885هـ):**

ونجد ملامح وحدة تكامل الموضوع وترابطه عند البقاعي؛ إذ قال " فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه. على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل، استدل عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلم جراً. فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها. وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُر، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها"[1].

ب-المحدثون:

ونعرض لخمسة منهم بما يأتي:

1. **محمد رشيد رضا[2](ت1354هـ):**

يعدُّ الشيخ محمد رشيد رضا من أوائل العلماء المحدثين الذين تكلموا على الوحدة الموضوعية حيث قال: " إن التفنن في مسائل مختلفة منتظمة في سلك موضوع واحد هو من أنواع بلاغة القرآن وخصائصه المدهشة التي لم تسبق لبليغ، ولن يبلغ شأوه

---

(1) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: (149/1).

(2) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة " المنار "، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، نظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، وأصبح مرجعاً للفتيا. ينظر: الأعلام، (126/6).

فيها بليغ، والكلام لم يخرج بهذا التنويع عن انتظامه في سلكه، وحسن اتساقه في سبكه "[1].

2. سيد قطب(ت1385هـ):

أما سيد قطب(ت1385هـ) فقد كان في مقدمة المفسرين المحدثين الذين أبرزوا الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم كلها، إذ قال: " إن كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة. إنها كلها تتجمع على الموضوع والغاية، ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة، وطرائقها المتميزة ومجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع، وتحقيق هذه الغاية"[2].

3. سعيد حوى(ت1409هـ):

يعدّ الشيخ سعيد حوّى[3]-رحمه الله- من أبرز الذين تميزوا بإبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية حيث إنه عدَّ سورة البقرة محوراً لسائر سور القرآن، وما عداها تفصيل لما ورد فيها؛ لأن سورة البقرة جامعة لمقاصد الدين ومجمل أحكامه، مستوعبة لأهداف القرآن ومراميه[4]. وفي ذلك يقول: " وكل قسم من الأقسام يكمل بقيتها، فقسم المفصل يكمل قسم المثاني، وقسما المثاني والمفصل يكملان تفصيل قسم المئين، والأقسام الثلاثة تكمل تفصيل الطوال، ولهذا كله قواعده وأسرار انتظامه، وكل ذلك قد ربط

---

(1) تفسير القرآن الحكيم " تفسير المنار "، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1990م، (240/1).

(2) في ظلال القرآن: (1243/3).

(3) سعيد حوى: هو سعيد بن محمد ديب حوى النعيمي، ولد عام (1354ه) في حماه، ونشأ في رعاية أسرة متدينة مجاهدة، التحق بجامعة دمشق بعد إنهاء المرحلة الثانوية، وتخرج من كلية الشريعة سنة (1381ه-1961م)، ودرس فيها على الشيخ مصطفى السباعي، من مؤلفاته: " تربيتنا الروحية " و " المستخلص في تزكية الأنفس "، توفي سنة (1409ه). www.ikwanwiki.com.

(4) وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها: رشيد الحمداوي، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثالث، 1428ه، (178).

بخيوط إلى سورة البقرة، فكأنها الأصل الذي ينبثق عنه بانتظام فروع أُولى، ثم فروع ثانية، ثم فروع ثالثة، ثم فروع رابعة "[1].

كما ذكر الشيخ سعيد حوى عدة أمور في فائدة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية منها:

1- إنها تلبي مطلباً من مطالب عصرنا، فإنها تروي ظمأ طلاب المعرفة والباحثين عن دقائق أسرار القرآن.

2- إنها تجيب عن تساؤلات كثيرة من جملتها موضوع فواتح السور، سواء منها المصدرة بالأحرف الهجائية أو المصدرة بما سوى ذلك.

3- تضع لبنة في صرح الحديث عن إعجاز القرآن ومعجزاته.

إن إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية فيها رد شبهة أن هذا القرآن لا يجمع آياته في السورة الواحدة جامع ولا يجمع بين سوره رابط[2].

ويرى الباحث أن إبراز الوحدة القرآنية من خلال إبراز الصلة بين سور القرآن كله، والصلة بين الآيات في السورة الواحدة، يبيّن ويظهر أن المعاني ذات المضمون الواحد موجودة بجانب بعضها.

4. محمد محمود حجازي

يعدُّ الدكتور محمد محمود حجازي من الذين عنوا بالوحدة الموضوعية للقرآن، فقد قال: " الواقع أن الإنسان يدهش حينما يقرأ سورة في القرآن الكريم أي سورة يجد أنها أشبه بالحديقة الغناء - ولله المثل الأعلى - أشبه بحديقة جمعت كل صنف ونوع، فيها من كل زهرة ومن كل لون، ومن كل شكل. ثم تنظر إليها فتجد فيها العجب تجد التجانس والتلاؤم، وتجد الألفة والإخاء فلا تنافر ولا تباين كقطعة الماس تعطيك كل لون مع كل وضع ولكن بلا تباين ولا فساد، تلك حقيقة أصبحت كما يقولون بديهية "[3].

---

(1) الأساس في التفسير:(5728/10).

(2) ينظر: م.ن، (1/ 25، 27).

(3) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم: (113).

5. **فضل حسن عباس(ت2011م):**

ومن الذين كان لهم دور في تبيين الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية،

الدكتور فضل حسن عباس[1]، حيث ذكر أثناء كلامه على سورة الأنعام؛ بأنها سورة عقدية فليس عجيباً أن لا يذكر فيها أي قصة من قصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- ولكن الخبر الوحيد الذي ذكر في هذه السورة هو خبر إبراهيم عليه السلام وقد ذكرت هذه القصة من الجهة التي تعالج موضوع السورة وهو إقامة البراهين على وحدانية الله عز وجل، وإبطال كل ما يعبد من دونه لتتناسب القصة مع موضوع السورة حيث جاءت أحداث قصة إبراهيم عليه السلام جميعاً متسقة مع موضوع السورة الكريمة لأنها سورة الحجج والأدلة على العقيدة الصحيحة[2].

المطلب الثاني: علاقة الوحدة الموضوعية بالتناسب والتناسق الموضوعي

يتبين مما سبق أن التناسب علم يبيِّن أوجه الاتصال بين سور القرآن وآياته وكلماته حتى تكون كالكلمة الواحدة متناسقة المعاني، منتظمة المباني، وتكون المعاني متآخية متلازمة دون تنافر[3]. وبعبارة أخرى هو " علل ترتيب أجزائه بعضها ببعض "[4]. والعلل هي المعاني التي تصلح أن تكون رابطة بين الآية والآية، والسورة والسورة، وفي التناسب ينظر المفسر إلى الرابط بين الآية والآية، ومناسبة خاتمها لموضوعها، ومناسبة

(1) فضل حسن عباس: أبو محمد فضل حسن عباس، أحد أبرز علماء المسلمين ــ من أهل السنة ــ في الأردن، عالم بالتفسير والبلاغة واللغة، ولد عام 1932م في فلسطين، حفظ القرآن وهو ابن عشرين سنة، درس في الأزهر، من مشايخه محمد عبدالله دراز، من مؤلفاته : قصص القرآن الكريم، إعجاز القرآن الكريم،(ت2011م)؛ ينظر: http://ar.wikipedia.org/wiki .

(2) ينظر: قصص القرآن الكريم، دار النفائس، الأردن، ط3، 1430ه- 2010م، (1/ 289، 291).

(3) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: (43/1)؛ ومباحث في علوم القرآن: (96/1)؛ والمعجم المفصل في علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني": (430)؛ والوحدة القرآنية: محمد محمود خوجة، دار كنوز أشبيليا، (د،ط)، 1431ه، (29/1).

(4) نظم الدرر: (5/1).

التقديم والتأخير فيها، مع النظر أيضاً إلى الروابط المعنوية واللفظية بين الآية والآية، أو مطلع السورة وخاتمتها، أو بين السورة والسورة التي قبلها، أو بعدها، أو بين السورة ومجموعة من السور، وما إلى ذلك.

أما التناسق الموضوعي فهو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال آياته وجمله وسوره بطريقة هي غاية التناسق والتناسب، وبمنتهى الدقة والإحكام لتؤدي المعنى المراد، على أبلغ وجه. ففي التناسق الموضوعي يكون النظر منصباً على ترابط موضوعات السورة فيما بينها، وانتظامها على هذا الترتيب الذي هو عليه في المصحف، ووجه التقديم والتأخير، ولِمَ جاءت هذه القضية في هذه السورة؟ ووجه المعنى الذي يربط ما قبلها بما بعدها؟ وما يتمم ذلك من النظر في باقي موضوعات السورة الواحدة، أو اتساق جملة من السور في موضوعاتها(1).

أما الوحدة الموضوعية فيقصد بها أن لكل سورة هدفاً واحداً يدور عليه أولها وآخرها، وأن وحدة موضوع السورة تأخذ عدة مسائل مختلفة منتظمة في سلك واحد، ففي الوحدة الموضوعية يبحث عن المحور الأساس الذي تدور عليه موضوعات السورة، فيذكر الباحث مقاصد السورة، وموضوعاتها، ثم ينظر في المحور الأساس الذي يجمع هذه الموضوعات، والغاية التي ترمي إليها، والتي هي بيت القصيد منها، دون نظر في تتابع الآيات، ونظامها في موضوعاتها(2).

والحاصل أننا في التناسب ننظر إلى مفردات الآيات والسور، ونبحث في وجه الربط بينها، وترابط سور القرآن الكريم وآياته بحيث يكون كالكلمة الواحدة، وفي التناسق الموضوعي ننظر إلى السورة باعتبار موضوعاتها، كيف ارتبط بعضها ببعض، وما

(1) ينظر: أسرار إعجاز القرآن: (135/1)؛ ومباحث في التفسير الموضوعي: (16)؛ والتناسق الموضوعي في السورة القرآنية: (12).

(2) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: (149/1)؛ وتفسير المنار: (240/1)؛ والتناسق الموضوعي في السورة القرآنية: (12).

النظام الذي سارت عليه، وتتابعت فيه، حتى وصلت السورة إلى غايتها أو بين موضوعات عدة سور وإبراز التناسق بينها، ففي التناسق ننظر إلى موضوعات السورة أو السور؛ لأنه علم يهدف إلى إبراز التقارب والتلاؤم بين موضوعات السورة في نظام بديع، ويعين في الوصول إلى الوحدة الموضوعية في السورة ويرشد إليها، وأما الوحدة الموضوعية فهي تهدف إلى إبراز الهدف، أو الغاية التي ترمي إليها السورة.

فالعلاقة إذن بين هذه الموضوعات الثلاثة " التناسب، والتناسق الموضوعي، والوحدة الموضوعية " علاقة تداخل، أو علاقة عموم وخصوص مطلق أي: أن التناسب أعم من التناسق، والتناسق أعم من الوحدة الموضوعية؛ لأن التناسب يلتقي مع التناسق الموضوعي فيما يتعلق بالربط بين موضوعات الآيات في السورة، أو السور، وينفرد عنه فيما يتعلق بأوجه الاتصال بين كلمات القرآن.

والتناسق الموضوعي يلتقي مع الوحدة الموضوعية في البحث عن ترابط موضوع معين في سورة، أو سور متعددة، وينفرد التناسق الموضوعي عنها في البحث عن ترابط موضوعات السورة، أو السور فيما بينها. فالدائرة الكبرى هي للتناسب، ويليها دائرة التناسق الموضوعي، ويليها الوحدة الموضوعية. فكل وحدة موضوعية فيها تناسق موضوعي، وكل تناسق موضوعي فيه تناسب، وليس كل تناسب فيه تناسق موضوعي، كما أنه ليس كل تناسق موضوعي فيه وحدة موضوعية[1].

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية للوحدة الموضوعية في سورة الأنعام

إذا تدبرنا سورة الأنعام تتضح لنا الصلة بين مقاطع السورة ومحورها العام وهو" إقامة الحجة على الكفار بنقض عقائدهم الباطلة وتقرير العقيدة الصحيحة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج المتنوعة. فهي أصل في محاجة جميع الكفار، وكشف ما هم عليه من ضلال وتفنيد شبهاتهم، وبيان العقيدة الصحيحة وارتباطها بالأدلة

(1) ينظر: التناسق الموضوعي في السورة القرآنية: (14-24).

والبراهين"[1].

ونظراً لطول موضوع الوحدة الموضوعية في سورة الأنعام، وخوفاً من الخروج عن موضوعنا الرئيس وهو: " التناسب في سورة الأنعام " سنقوم بتقسيم السورة إلى ثلاثة مقاطع وبشكل مختصر بحيث لا يخل بوحدة موضوع السورة، ولإيضاح ذلك نقول: تتألف سورة الأنعام من ثلاثة مقاطع هي:

المقطع الأول: ويبدأ من الآية (1) ، ويمتد حتى نهاية الآية (11)، ويقسم المقطع الأول إلى جزئين:

يتفرع هذا الجزء إلى ثلاثة فروع هي:

مقدمة السورة يبتدئ من الآية (1) وتنتهي بالآية (3)، وهي قوله ﷻ: (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ . هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ . وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)[2]. فقد بدأ سبحانه فاتحة هذه السورة الكريمة بالحمد على نفسه وإثبات الألوهية أي إن الحمد كله لله فلا شريك له، وقد وصف نفسه بأنه: الذي خلق السماوات والأرض إخباراً عن قدرته الكاملة الموجبة لاستحقاقه لجميع المحامد، فإن من اخترع ذلك وأوجده هو الحقيق بإفراده بالثناء وتخصيصه بالحمد. أي: أخلِصوا الحمد والشكر للذي خلقكم أيها الناس، وخلق السماوات والأرض، ولا تشركوا معه في ذلك أحدًا أو شيئاً فإنه المستوجب عليكم الحمدَ على النعم المختلفة، وأيضا لما فيه من الحجة في هذا الموضع على الذين هم بربهم يعدلون. لذا جاء التعبير بـ "ثم" لاستبعاد الشرك بعد وضوح الأدلة والبراهين المقررة للتوحيد.

---

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (396/2).

(2) سورة الأنعام: 1-3.

وأخبر اللـه ﷻ عـن قدرتـه وعلمـه وإرادتـه بأنـه: الـذي خلـق، أي: اخـترع وأوجـد وأنشـأ وابتدع. يعني: الذي خلق السماء بغير عمد، وجعـل فيهـا الشـمس والقمـر آيتـين وزينهـا بـالنجوم، وبسط الأرض وأودعها الأرزاق والنبات، وبث فيها من كـل دابـة، وجعـل فيهـا الجبـال، وغـير ذلـك، وهي دلالات على وحدانيته، وعظيم قدرته، وأنه هو اللـه الواحـد القهـار، وبـيَّنَ بخلقـه السـماوات والأرض أنه خالق كل شي، وأنه الذي خلق السماوات والأرض، وأظلم ليلهما وأنَار نهـارهما، ثـم كفـر به مع إنعامه عليهم الكافرون، وعدلوا به من لا ينفعهم ولا يضرُّهم، وهـو الـذي خلـق النـاس، مـن طين. وإنما يعني بذلك تعالى ذكره: أنَّ الذي خلقكم من طين هو أصل أبيكم آدم ؑ، ومنـه خلـق اللـه زوجه حواء حتى صيَّركم بالهيئة التي أنتم بها على إنشائه إياكم مـن بعـد مماتكـم وفنـائكم، وإيجاده إيّاكم بعد عدمكم، ثم أنتم تشكُّون وتمترون في أمر البعث وغيره من أصول الـدين، ويعلـم سِرَّكم وجَهْركم، فلا يخفى عليه شيء سراً كان أم علانيةً[1].

مما سبق تتبين لنـا صـلة المقدمـة بمحـور السـورة وهـو: إقامـة الحجـة عـلى الكفـار بـنقض عقائدهم الباطلة وتقرير العقيـدة الصـحيحة بالأدلـة القاطعـة، والبراهـين السـاطعة؛ حيـث بـدأت السورة الكريمة بالحديث عن الركن الأساسي للعقيدة الإسلامية، وهـي الإيمـان باللــه تعـالى، حيـث يعرفنا ربنا سبحانه وتعالى بذاته وصفاته وأفعاله ويذكرنا بنعمه وعنايته ولطفه بعباده[2].

قوله ﷻ: (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّـنْ آيَـاتِ رَبِّهِـمْ إِلاَّ كَـانُواْ عَنْهَـا مُعْرِضِـينَ . فَقَـدْ كَـذَّبُواْ لَـمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ . أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم

(1) ينظر: جامع البيان: (247/11، 254، 260)؛ والجامع لأحكام القرآن: (384/6)؛ وفـتح القـدير، الشـوكاني، (د. ط)، دار الكلم الطيب-دمشق، بيروت، ط1، 1414ه، (112/2).
(2) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (396/2، 407).

بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ) [1].

أرشدت الآيات الثلاث السابقة وهي قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ . هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ . وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) [2]. إلى دلائل وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، وأنها على ظهورها لم تمنع الكافرين من الشرك في الألوهية، وأرشدت إلى دلائل البعث وإلى أنها على قوتها لم تمنع المشركين من الشك فيه، وبينت الآية الثالثة أن الله تعالى المتصف بالصفات التي يعرفونها ولا ينكرونها هو الله في عالمي السماوات والأرض، المحيط علمه بكل شيء فلا ينبغي أن يتخذ معه إله فيها. ولكن المشركين جهلوا ذلك فجوزوا أن يكون غير الرب إلها وعبدوا معه آلهة أخرى فبين لهم الوحي الحق في ذلك، وأن الله الذي يعترفون بأنه هو رب السماوات والأرض وما فيهن هو الإله المعبود بالحق فيهن ثم أرشدت هذه الآيات الثلاث اللاحقة إلى سبب عدم اهتدائهم بالوحي، وأنذرتهم عاقبة التكذيب بالحق، ويتلو ذلك في الآيات التي بعدهن كشف شبهاتهم على الوحي وبعثة النبي عليه الصلاة والسلام.

وتشير الآيات السابقة إلى أنه لم يكن كل أمرهم أنهم لم يستدلوا بما ذكر في الآية الأولى من البينات على التوحيد، ولا بما ذكر في الثانية على البعث ولم ينظروا فيما يستلزمه كونه سبحانه هو الله في السماوات وفي الأرض، المحيط علمه بالسر والجهر وكسب العبد، بل يعطف على هذا ويزاد عليه أنهم أضافوا إلى عدم الاهتداء بالآيات الثابتة الدائمة التي يرونها في الآفاق وفي أنفسهم عدم الاهتداء بالآيات المتجددة التي تهديهم إلى تلك وتبين لهم وجه دلالتها وهي آيات القرآن المرشدة إلى آيات الأكوان،

---

(1) سورة الأنعام: 4-6.

(2) سورة الأنعام: 1-3.

والمثبتة لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وفي معناها كل ما يدل على نبوته صلى اللـه عليه وسـلم من المعجزات، وذلك أنهم لا تأتيهم آية من هذه الآيات من عند ربهم ولا يقدر عليها غيره إلا كـانوا معرضين-الإعراض التولي عن الشيء[1]- عنها، غير متدبرين لمعناها، ولا ناظرين فيما تدل عليه وتستلزمه فيهتدوا به.

وقوله تعالى: "فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون" وهـذا تهديد لهم ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق، بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هـم فيـه مـن التكـذيب، وليذوقن وباله، وقد كذَّبوا بالحق الذي جاءهم من لدن خالق السماوات والأرض، وجاعل الظلـمات والنور، وخالق الإنسان من طين، والإله في السماوات والأرض الذي يعلم سرهم وجهـرهم ويعلـم مـا يكسبون وهو الحق المبين، وأن اللـه تعالى هو المعبود الحق، وقد أشركـوا معـه آلهـة أخـرى لا تضر ولا تنفع، وكـذبَّوا النبـي ﷺ، وأصروا عـلى التكـذيب، معرضـين عـن الآيـات، مسـتهزئين بالـدعوة إلى الإيمان فليرتقبوا إذن أن يأتيهم الخبر اليقين عما كانوا بـه يسـتهزئون. ويـتركهم أمـام هـذا التهديـد المجمل، الذي لا يعرفون نوعه ولا موعده .

"ألم يروا" أي: ألم يعلموا علما يشبه الرؤية بالبصر، لما سمعوا بـالتواتر مـن إتيـان المسـتهزئين قبلهم. أنباءهم مراراً كثيرة كم أهلكنا من قبلهم من قرن أي من أمة، فلم نبق منها أحدا، مثل قـوم نوح وعاد وثمود، وغيرهم من الأمم الماضية، والقـرون الخاليـة. "مَكَّنَّـاهُمْ فِي الْأَرْضِ" أي: ثبتنـاهم في الأرض، ما لم نمكن لكم، أي: ما لم يعط مثله للمخاطبين من قريش في الجزيرة وأرسل الغيـث علـيهم متتابعاً ينشئ في حياتهم الخصب والنماء ويفيض عليهم من الأرزاق. ثم كفروا بربهم الـذي رزقهـم كل هذه الطيبات فأخذهم اللـه بذنوبهم، وأنشأ من بعدهم جيلاً آخر، ورث الأرض من بعده [2].

(1) ينظر: القاموس المحيط: (1344/1)، فصل "الواو".

(2) ينظر: تفسير القـرآن العظـيم: (240/3، 241)؛ ومحاسـن التأويـل: (316/4)؛ وتفسـير المنـار: (251،252/7)؛ وفي ظلال القرآن: (1037/2).

قوله ﷻ: (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ . وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ . وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ . قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [1].

هذه هي مواقف المشركين من رسالة النبي ﷺ فقد جمعوا بين الإعراض والتكذيب والسخرية والاستهزاء والتعنت من خلال مطالبهم بإنزال آيات اقترحوها ، ولو نزلت ما زادتهم إلا نفوراً؛ فكان في ذلك هلاكهم، وقوله ﷻ : "وللبسنا عليهم ما يلبسونَ".

كان أكابر الكفار يخلطون على مستضعفيهم في أمر النبي ﷺ فيقولون: إنما هذا بشر مثلكم فقال ﷻ: "ولو أنزلنا ملكاً" فرأوا-يعني أكابر الكفار- المَلَكَ رَجُلًا لكان يلحقهم فيه من الخلط مثل ما لحق مستضعفيهم، وبعد أن قطعت الآيات السابقة كل السبل المؤدية إلى التكذيب والاستهزاء، وسفهت أوهامهم وأفصحت عن عنادهم جاءت الآيتين وهما قوله ﷻ: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ . قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [2].

تسلية للنبي ﷺ وترويحاً عن نفسه ببيان أن ما يحدث من تكذيب وإعراض وسخرية إنما حدث لإخوانه من الأنبياء والرسل على أيدي الكفرة [3].

ومن خلال تفسير هذه الآيات تتضح لنا صلة الآيات بمحور السورة. إذ بدأت الآيات الكريمة في محاورة المشركين وعرض الحجج واستجلاء البراهين، مع إبطال

---

(1) سورة الأنعام: 7-11.

(2) سورة الأنعام: 10-11.

(3) ينظر: معاني القرآن: (231/2)؛ وفتح القدير: (116/2، 117)؛ والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (214/2-216).

مـذاهب الملحـدين، والإجابـة المفحمـة عـلى اعتراضـات المشركـين ومطـالبهم التـي علقـوا إيمـانهم بحصولها، كنزول الملائكة عليهم ومعهم الكتب التي يبصرونها بأعينهم ويلمسونها بأيدهم، وفي هذا من الامتراء والتعنت مما لا يخفى[1].

المقطع الثاني: ويبتدئ من الآية (91) ويمتد حتى نهاية الآية (94).

قوله ﷻ: (وَمَا قَدَرُواْ اللـهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنـزَلَ اللــهُ عَـلَى بَشَرٍ مِّـن شَيْءٍ قُـلْ مَـنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُـوسَى نُـورًا وَهُـدًى لِّلنَّـاسِ تَجْعَلُونَـهُ قَـرَاطِيسَ تُبْـدُونَهَا وَتُخْفُـونَ كَثِـيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللـهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ . وَهَذَا كِتَـابٌ أَنزَلْنَـاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُـمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللــهِ كَـذِبًا أَوْ قَـالَ أُوْحِـيَ إِلَيَّ وَلَـمْ يُـوحَ إِلَيْـهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللـهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِـطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَـلَى اللــهِ غَـيْرَ الْحَـقِّ وَكُنـتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ . وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُـورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْـنَكُمْ وَضَـلَّ عَـنكُم مَّـا كُنـتُمْ تَزْعُمُونَ)[2].

قوله تعالى: "وما قدروا اللـه حـق قـدره"، ومـا أجلُّـوا اللــه حـق إجلالـه، ولا عظمـوه حق تعظيمه، ووجود واو العطـف في صـدر هـذه الجملـة تُبـيِّن عـلى أنهـا نزلـت متناسـقة مـع الجمل التي قبلها، وأنها وإياها واردتان في غرض واحد هو إبطال مزاعم المشركـين، فهـذا عطـف على قولـه ﷻ: (فَـإِن يَكْفُـرْ بِهَـا هَـؤُلاء فَقَـدْ وَكَّلْنَـا بِهَـا قَوْمًـا لَّيْسُـواْ بِهَـا بِكَـافِرِينَ)[3]. فـواو

(1) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (418/2).

(2) سورة الأنعام: 91-94.

(3) سورة الأنعام: 89.

الضمير في قوله "وما قدروا" عائد على ما عاد إليه اسم الإشارة في قوله: "هؤلاء". ذلك أن المشركين لما استشعروا نهوض الحجة عليهم في نـزول القـرآن بأنـه لـيس بـدعا مـما نـزل عـلى الرسـل توغلـوا في المكابرة والجحود فقالوا ما أنزل اللـه عـلى بشر مـن شيء، وقـد جـاءت هـذه الآيـة في هـذا الموقـع كالنتيجة لما قبلها من ذكر الأنبياء وما جاءوا به من الهـدى والشرائـع والكتـب. وعليـه تكـون هـذه الآيات في هذا الموقع مناسبة لقوله تعالى: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُـرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ) [1]. وتكون هذه الآية كالمعترضـة في خـلال إبطـال حجاج المشركين.

وقوله تعالى: "ومن أظلم ممن افترى على اللــه كـذباً أو قـال أوحـي إلي ولم يـوح إليـه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل اللـه". يشير إلى إبطال ما زعموه من نفـي الإرسـال والإنـزال والـوحي، الناشئ عن مقالهم الباطل، إذ قالوا ما أنزل اللـه على بشر من شيء، وعقب ذلك بإثبـات مـا لأجلـه جحدوا إرسال الرسل وإنزال الوحي على بشر، وهو إثبـات أن هـذا الكتـاب منـزل مـن اللــه، ومـن أظلم ممن افترى على اللـه كذبا تسفيه عقائد أهل الشرك والضلالة منهم على اختلافها واضـطرابها. ويجوز أن يكون المراد مع ذلك تنزيه النبي ﷺ عما رموه به من الكذب عـلى اللــه حـين قـالوا: مـا أنزل اللـه على بشر من شيء[2].

وقولـه: "ولـو تـرى إذ الظـالمون في غمـرات المـوت والملائكـة باسـطو أيـديهم أخرجـوا أنفسكم" أي: ولو ترى، يا محمد، حـين يغمـر المـوت بسـكراته هـؤلاء الظـالمين العـادلين بـربهم الآلهـة والأنـداد، والقـائلين:"مـا أنـزل اللــه عـلى بشر مـن شيء"، والمفـترين عـلى اللــه كـذبًا، الزاعمين أنّ اللـه أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء، والقائلين:"سأنزل مثل ما أنزل اللــه"،فتعـاينهم وقـد غشـيتهم سـكرات المـوت، ونـزل بهـم أمـر اللــه، وحـان فنـاء آجـالهم، و"الغمـرات"

(1) سورة الأنعام: 89.

(2) ينظر: جامع البيان: (521/11، 537، 543)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسـير كـلام المنـان: (264/1)؛ والتحريـر والتنوير: (210/6-215).

جمع"غمرة"، و"غمرة كل شيء"، كثرته ومعظمه، وأصله الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها.

وقوله: "ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم".

هذا خبر من اللـه جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به الآلهة والأنداد، يخبر عبادَه أنه يقول لهم عند ورودهم عليه:"لقد جئتمونا فرادى". ويعني بقوله: "فرادى"، وحدانًا لا مال معهم، ولا إناث، ولا رقيق، ولا شيء مما كان.

وقوله: "وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء" أي: يقول اللـه سبحانه وتعالى لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد يوم القيامة: ما نرى معكم شفعاءكم الذين كنتم في الدنيا تزعمون أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة[1].

وبهذا تتبيَّن الصلة بين هذا المقطع وبين المحور العام لهذه السورة واضحةً جليةً حيث ردت على منكري الوحي من أهل الإلحاد والكفر والجحود والعناد، فإنكار الوحي الإلهي يعدُّ قدحاً في حكمته عز وجل، وكذلك بينت أن من أشنع ألوان الظلم: الافتراء على اللـه، ثم ذكرت في هذا لمقطع صوراً منه، وأعقبته ببيان عاقبته في الدنيا من سوء الخاتمة، وفي الآخرة من الخزي وعذاب الهون[2].

المقطع الثالث: ويبتدئ من الآية (151) ويمتد حتى نهاية الآية (153) .

(قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللـهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللـهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ

(1) ينظر: جامع البيان: (548/11).

(2) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (510/2).

تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [1].

هذا استئناف للانتقال من إبطال تحريم ما ادعوا تحريمه من لحوم الأنعام إلى دعوتهم لمعرفة المحرمات، وبعد إبطال ما ادعوه من هذه التحريمات، وبيان ما هم عليه من زيغ وضلال، ونقض معتقداتهم الفاسدة وتقاليدهم الراكدة جاءت هذه الآيات بالمنهج الصحيح والعقيدة الصحيحة المتمثل بالوصايا الخالدة الجامعة لأسس العقيدة وأصول الشريعة ومكارم الأخلاق، وقد انقسمت الأحكام التي تضمنتها هذه الجمل المتعاطفة في الآيات الثلاث إلى ثلاثة أقسام:

الأول: افتتح هذه الأقسام بقوله: " قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا ".

وهو النهي عن الشرك بجميع صوره ومظاهره، وهذا يعني إخلاص العبادة لله تعالى فلا رب غيره ولا معبود سواه، وهذا الركن الأول في الإسلام وأساس العقيدة الصحيحة.

الثاني: قوله تعالى: " وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ " وهو ما به حفظ نظام تعامل الناس بعضهم مع بعض .

الثالث: قوله تعالى: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ " أصل كلي جامع لجميع الهدى وهو إتباع طريق الإسلام والتحرز من الخروج عنه إلى طرق الضلال والأهواء والبدع كاليهودية والنصرانية وسائر الأديان المحرفة والوضيعة[2].

وصلة آيات هذا المقطع بمحور السور واضحة جلية، إذ بعد إثبات سذاجة حجج

---

(1) سورة الأنعام: 151-153.

(2) ينظر: جامع البيان: (215/12، 221، 225، 228، 229)؛ والتحرير والتنوير: (116/7، 117)؛ والأساس في التفسير: (1805/3، 1806)؛ والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (585/2، 588).

المشركين، وتفنيد شبهاتهم، وتبديد أوهامهم وفضح كل مظاهر الشرك؛ جاءت هذه الآيات بالمنهج القويم من خلال هذه الوصايا الخالدة، والجامعة لأسس العقيدة الصحيحة ومكارم الأخلاق[1].

وخلاصة القول فقد جاءت السورة الكريمة بأصول العقيدة الصحيحة حيث افتتحت السورة المباركة ببيان المستحق للحمد وهو الله تعالى الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، وتكفل الله سبحانه وتعالى برزق العباد وأنبت الأرض وجعل فيها منافع للبشر؛ كما اشتملت السورة على قواعد التوحيد، والتي جاء في مفتتحها إفراده تعالى بالحمد؛ كما اشتملت السورة الكريمة على إبطال ما كان عليه المشركون من عقائد فاسدة؛ كما عالجت قضية التحليل والتحريم التي أخضعها المشركون لأهوائهم وتقاليدهم الزائفة، وعلى الرغم من تعدد موضوعات السورة إلا أنها تدور على ركيزة واحدة وهي: إقامة الحجة على المشركين بنقض عقائدهم الباطلة وتقرير العقيدة الصحيحة بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة والحجج المتنوعة وهو ما يمكن جعله أساس الوحدة الموضوعية للسورة[2].

(1) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (590/2).

(2) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: (396/2، 606).

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية لـ "التناسب" في سورة الأنعام من حيث علاقاته اللغوية والبلاغية

المبحث الأول

التناسب في سورة الأنعام من حيث علاقاته اللغوية.

المطلب الأول: التناسب بين اللفظ والمعنى(الملاءمة)

اختلفت عبارات العلماء في تعريف التناسب بين الألفاظ والمعاني فمنهم من عرَّفه بقوله: أن تكون ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضاً ليس فيها تنافر بين لفظة ولفظة، أو غير ملائمة بمكانها، كلها موصوف بحسن الجوار، بحيث إذا كان المعنى غريباً كانت ألفاظه غريبة، وإذا كان المعنى مولداً كانت الألفاظ مولدة، وإذا كان المعنى متوسطاً كانت الألفاظ كذلك، وإذا كان متداولاً كانت الألفاظ معروفة مستعملة، وإذا كان متوسطاً بين الغرابة والاستعمال كانت ألفاظه كذلك[1].

ومنهم من عرَّفه بقوله: " وهو أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له، فإذا كان المعنى فخماً كان اللفظ الموضوع له جزلاً، وإذا كان المعنى رقيقاً كان اللفظ رقيقاً، فيطابقه في كل أحواله"[2].

وقال بعضهم: أن تكون ألفاظ الكلام مناسبة للمعنى المطلوب منها، فإذا كان المعنى رقيقاً اختيرت له ألفاظ رقيقةً تلائمه، وإذا كان المعنى جزلاً اختيرت له ألفاظٌ جزَلَةٌ تلائمه. وإذا كان المعنى غريباً اختيرت له ألفاظٌ غريبة تلائمه. وإذا كان المعنى متداولا اختيرت له ألفاظ متداولة تلائمه[3].

نستنتج من هذه التعريفات الثلاثة أن التناسب بين الألفاظ والمعاني: أن تكون ألفاظ الكلام متناسبة فيما بينها بحيث يلائم بعضها بعضاً، فلا يكون فيها تنافر بين لفظة وأختها، وتكون لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له فإذا كان المعنى فخماً اختيرت له ألفاظ

---

(1) ينظر: بديع القرآن: (77/2).

(2) الطراز: (80/3).

(3) ينظر: البلاغة العربية: (520/2، 521).

جزلة تلائمه، وإذا كان المعنى رقيقاً اختيرت له ألفاظ رقيقة تلائمه، وإذا كان المعنى غريباً اختيرت له ألفاظ غريبة تلائمه، وإذا كان المعنى متداولاً اختيرت له ألفاظ متداولة تلائمه، فيكون اللفظ مطابقاً للمعنى بكل أحواله.

وفيما يأتي نماذج تطبيقية للتناسب "الملاءمة" بين اللفظ والمعنى في سورة الأنعام.

1- قوله ﷻ:(وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) [1].

اختلف المفسرون في مُتَعَلَّق الجار والمجرور، وهو قوله تعالى: " في السموات وفي الأرض " فقيل تقديره: المعبود في السموات وفي الأرض، وقيل تقديره: المدبر في السموات وفي الأرض، وقيل: متعلِّق بما بعده من قوله تعالى: " يعلم سركم وجهركم "، وقيل غير ذلك.

وأفضل الأقوال في تقدير المتعلَّق ما ذهب إليه الزجاج(ت311هـ) [2]، ورجحه ابن عطية (ت542هـ) وأبو حيان (ت745هـ)[3] من أن قوله " في السموات " متعلق بما تضمنه اسم اللـه من المعاني، كأنه قيل وهو الخالق الرازق المحيي المحيط المدبر المعبود في السموات وفي الأرض، وهذا كما يقال: زيد السلطان في الشام والعراق، فلو كان المقصود الإخبار

(1) سورة الأنعام: 3.

(2) هو إبراهيم بن السّري بن سهل أبو إسحاق الزّجاج النَّحْوِيّ كان من أهل الدين والفضل حسن الاعتقاد جميل المذهب وله مصنفات حسان في الأدب وهو أستاذ أبي علي الفارسي أخذ النَّحْو عن المبرد وكان لا يعلم إلا بأجرة – أي المبرد- ومن تصانيفه كتاب " الاشتقاق " و " القوافي " و " العروض " و " ما ينصرف وما لا ينصرف " و " معاني القرآن " وغيرها، كان أبو إسحاق الزّجاج ينزل بالجانب الغربي من بغداد بالموضع المعروف بالدويرة توفّي(311ه). ينظر: الوافي بالوفيات: (228/5، 229).

(3) رأي أبي حيان قريب جداً من رأي الزجاج وابن عطية، لكنه يختلف معهم في تحديد المعنى الذي يتضمنه لفظ " اللـه " فعنده أن المعنى الذي دلَّ لفظ " اللـه " هو الألوهية، وعندهما دلَّ على معانٍ كالخالق والرازق والمحيي والمميت وغيرها. ينظر: معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408ه- 1988،(288/2)؛ والمحرر الوجيز: (267/2، 268)؛ والبحر المحيط: (77/4، 78).

عن ذات "زيد" لقيل إن ذلك محال، ولو قيل: إن المقصود الإخبار عن "زيد" بأنه الآمر الناهي المبرم الذي يعزل ويولي في الشام والعراق فأقمنا السلطان مقام هذه الصفات كلها لكان فصيحاً صحيحاً، وكذلك الحال في هذه الآية

الكريمة حيث أقيم لفظ " اللـه " مقام تلك الصفات المذكورة [1].

ويلاحظ أن هذا الإيجاز الذي أقيم فيه لفظ " اللـه " مقام تلك الصفات كلها أورث السياق فصاحة في اللفظ، وجزالة تتناسب مع جزالة المعنى الذي ترنو إليه الآية، فإن الآية كالنتيجة لما قبلها من الأخبار الماضية ابتدأ من قوله تعالى: " الحمد للـه الذي خلق " وإيضاح ذلك أنه تعالى لما ذكر خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وقضى الأجل أراد أن يدل على إيثار قدرته وإحاطته واستيلائه، ونحو ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلا، فجمع هذه الصفات كلها بقوله " وهو اللـه " أي: الذي له كل تلك الصفات في السموات وفي الأرض[2]. وهكذا نرى أن المعنى لما كان كالنتيجة لما قبله ومن شأن النتيجة أن تكون موجَزَة لتفصيل ما قبلها جاء لفظ الآية موجَزاً.

2- قوله ﷻ: (وَأَقْسَمُواْ بِاللـهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللـهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ) [3]. ذكر المفسرون-ومنهم الطبري- أن هذه الآية نزلت رداً على مشركي قريش لما سألوا النبي ﷺ أن يأتيهم بآية[4]، ونلاحظ أن هذا الطلب من مشركي قريش – تنزيل آية – قد تردد كثيراً على ألسنتهم، وورد ذكره في القرآن في أكثر من موضع فقال تعالى: (وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه:(288/2)؛ والمحرر الوجيز: (267/2، 268)؛ والبحر المحيط: (77/4، 78)؛ والتحرير والتنوير: (15/6، 16).

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه:(288/2)؛ والمحرر الوجيز: (267/2، 268)؛ والبحر المحيط: (77/4، 78)؛ والتحرير والتنوير: (15/6، 16).

(3) سورة الأنعام: 109.

(4) جامع البيان: (38/12، 39).

إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ) [1]. وقال تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) [2]. وقوله تبارك وتعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) [3]. كما تنوعت طبيعة الآية التي يطلبونها، فتارة يطلبون نزول ملك كقوله تعالى: (وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ) [4]. وتارة يطلبون أن ينزل عليه كنز كما في قوله ﷻ: (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [5]. وتارة يطلبون أصنافاً من الآيات كقوله تعالى: (وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً) [6]. فلما كان هذا الطلب مبتذلاً متداولاً فيما بينهم ومتكرراً على ألسنتهم جاءت ألفاظ الآية محل البحث مُستعمِلة للألفاظ العربية المبتذلة والتي يكثر تداولها على ألسنتهم في مثل حالهم هذا، فاستعملت الآية لفظ القسم المستعمل عند انقسام الناس في شأن أمر ما إلى فريقين مصدق ومكذب، كما استعملت

(1) سورة يونس: 20.

(2) سورة الرعد: 7.

(3) سورة العنكبوت: 50.

(4) سورة الأنعام: 8.

(5) سورة هود: 12.

(6) سورة الإسراء: 90-93.

حرف القسم الباء الذي هو الأصل في حروف القسم والأكثر استعمالاً عند الحلف، وكذلك جاءت بقية ألفاظ الآية المجاورة لهذا القسم كلها مستعملة متداولة ليس فيها لفظة غريبة تفتقر إلى مجاورة ما يقابلها في الغرابة ويلائمها، واقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة أو الاستعمال توخياً لحسن الجوار ورغبة في تناسب المعاني والألفاظ ولتتناسب الألفاظ في الوضع والنظم في آن واحد [1]، وهكذا نرى أن الألفاظ جاءت مطابقة ومتناسبة مع المعنى المراد.

المطلب الثاني: التناسب بين سورتي المائدة والأنعام من حيث الإجمال والتفصيل

لم يقتصر وقوع التناسب بين سورتي المائدة والأنعام على الوجوه التي ذكرناها في المطلب السابق والتي وقعت بيت أواخر سورة المائدة وأوائل سورة الأنعام، بل تعدى ذلك ليشمل بعض المواضع التي وردت مجملة في سورة المائدة فجاءت مفصلة في سورة الأنعام ومن ذلك ما يأتي:

1- قوله ﷻ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّـهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّـهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [2]. فإنه أخبر عن الكفار أنهم حرموا أشياء مما رزقهم اللـه افتراءً عليه، وكان القصد من ذلك تحذير المؤمنين أن يحرموا شيئا مما أحل اللـه، كما فعل ذلك بعض الصحابة[3]، فيشابهوا بذلك الكفار في

---

(1) بديع القرآن: (77/2، 78)؛ ومفاتيح الغيب: (111/13، 112)؛ والتحرير والتنوير: (109/12).

(2) سورة المائدة: آية: 87.

(3) جلس النبي ﷺ فذكَّر الناس، ثم قام ولم يزدهم على التخويف، فقال ناس من أصحاب النبي ﷺ وكانوا عشرة، منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون، فأردوا أن يحرموا على أنفسهم أشياء مما أحلها اللـه لهم ظنا منهم أنها مرتبة تقربهم إلى اللـه تعالى، فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء، وكان لا يدنو من أهله ولا يدنون منه. فعن أنس، أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألو أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم،

صنيعهم، وقد جاءت هذه الآية على سبيل الإجمال والإيجاز، واكتفت الآية بتحذير المؤمنين فقط، وجاء شرح هذه الآية شرحاً مفصلاً تاماً في سورة الأنعام وتحديداً عند قوله ﷻ:(وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ . وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ . وَقَالُواْ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نّشَاء بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ . وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ) [1]. فقد كان المشركون يقتطعون بعض أنعامهم وأقواتهم من الحبوب وغيرها، ويمنعون التصرف فيها إلا فيما يخصونها للوثن تعبداً، إذ حرموا ظهور بعض أنعامهم: وهي البحيرة والسائبة والحامي، كما

وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه. فقال: " ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"، ينظر: المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج(ت261ه)، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، رقم الحديث (1401)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (1020/2).

(1) سورة الأنعام: 136-139.

حرموا ما في بطون الأنعام من اللبن والأجنة فيجعلونها خالصة لذكورهم دون إناثهم، وإذا ولدت ذكراً جعلوه خالصاً للرجال دون النساء[1].

2- ختم الله تعالى سورة المائدة بقوله ﷻ: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [2]. وقد جاءت هذه الخاتمة على سبيل الإجمال ولم يتضح فيها سبب الملك، وجاء ذلك بصورة مفصلة في سورة الأنعام.

فبدأ الباري تبارك وتعالى بذكر أنه خلق السموات والأرض، وضم إليه أنه جعل الظلمات والنور، وهو بعض ما تضمنه " وما فيهن " في آخر المائدة، وضمن قوله تعالى " الحمد لله " – أول الأنعام – أن له ملك جميع المحامد، وهو من تفصيل قوله تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ) [3].

ثم ذكر: أنه خلق النوع الإنساني، وقضى له أجلاً مسمى، وجعل له أجلاً للبعث، وانه منشئ القرون قرناً بعد قرن، ثم قال تعالى: (قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) [4]. فأثبت له ملك جميع المنظورات. ثم قال: (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) [5]. فأثبت له ملك جميع المظروفات لظرفي الزمان. ثم ذكر سائر الحيوان، من الدواب والطير، ثم ذكر خلق النوم واليقظة والموت والحياة، ثم أكثر في أثناء السورة من ذكر الخلق والإنشاء لما فيهن، من النيرين-الشمس والقمر-، والنجوم، وفلق الإصباح، وخلق الحب والنوى، وإنزال الماء، وإخراج النبات والثمار بأنواعها، وإنشاء جنات معروشات وغير معروشات،

---

(1) ينظر: أسرار ترتيب القرآن: للسيوطي، (ت911ه)، تح، عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ط2، 1398ه-1978م، (99)؛ وتفسير المنار: (8/ 108-112).

(2) سورة المائدة: 120.

(3) سورة المائدة: 120.

(4) سورة الأنعام: 12.

(5) سورة الأنعام: 13.

والأنعام، ومنها حمولة وفرشاً، وكل ذلك تفصيل لملكه ما فيهن[1]. وهكذا يتبين من خلال سورة الأنعام بشكل مفصل ما جاء مجملاً في آخر سورة المائدة وفي هذا من التناسب ما لا يخفى.

المطلب الثالث: التناسب بين سورتي الأنعام والأعراف من حيث الإجمال والتفصيل

كما وقع التناسب بين سورتي المائدة والأنعام من حيث الإجمال والتفصيل لبعض الموضوعات التي جاء ذكرها في السورتين كذلك وقع التناسب بين سورتي الأنعام والأعراف من تلك الحيثية أيضاً فقد جاءت آيات تتعلق بموضوعات معينة بصورة مجملة في سورة الأنعام ثم جاءت مفصلة في سورة الأعراف ومبينة لذلك الإجمال، وهذه الموضوعات هي:

1- قوله ﷻ: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ) [2]. فقد جاءت مجملة لكنها فصلت في سورة الأعراف بقوله تعالى:(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) [3] إلى قوله تعالى:(قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ) [4]. فجاء شرح قصة سيدنا آدم على أتم وجه في هذه السورة، وذلك تفصيل وبيان للإجمال الذي جاء في قوله ﷻ: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ) [5].

جاء في البحر المديد: " خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور، ثم صورناكم: أي صورنا خلقة أبيكم آدم. نزّل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره لأنه المادة

---

(1) ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور: (83، 84).

(2) سورة الأنعام: 2.

(3) سورة الأعراف: 11.

(4) سورة الأعراف: 25.

(5) أسرار ترتيب القرآن: (101).

الأصلية "[1].

2- قال تعالى في الأمر بالاعتبار بأهل القرون الغابرة: (أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّـن قَـرْنٍ) [2]. وفيها إجمال لأهل تلك القرون وما حل بهـم ولم يتبـين لنـا مـن هـم ولا مـا حـل بهـم بصورة مفصلة لكن جاء تفصليها في سورة الأعراف من قوله تعـالى:(لَقَـدْ أَرْسَـلْنَا نُوحًـا إِلَى قَوْمِهِ) [3]. إلى قوله تعالى(فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [4]. فقد بينت هـذه الآيـات أهل القرون الغابرة كما شرحت هذه الآيات كيفية عصيان هذه الأمـم لأنبيـائهم، وكيفيـة إهلاكهم شرحاً تاماً مستوعباً لم يقع نظيره في سورة أخرى [5].

3- وجاء قوله تعالى في سورة الأنعام:(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَـةَ) [6]. وهـو كـلام مجمـل لم يبين فيه مقدار ما تسعه هذه الرحمة ولا من كتب لهم، وقد جـاء تفصـيل ذلـك في الأعـراف بقوله ﷻ: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُـم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) [7]. فبين مقدار ما تسعه ومن كتبها لهم[8].

---

(1) البحر المديد: (201/2).

(2) سورة الأنعام: 6.

(3) سورة الأعراف: 59.

(4) سورة الأعراف: 176.

(5) ينظر: أسرار ترتيب القرآن: (101).

(6) سورة الأنعام: 54.

(7) سورة الأعراف: 156.

(8) ينظر: أسرار ترتيب القرآن: (102).

4- وكذلك جاء قوله تعالى في سورة الأنعام:(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ)[1]. وهو مجمل لم يبين فيه من هي الأمم التي تعاقبت وخلف بعضهم بعضاً، وقد جاء بسط ذلك في سورة الأعراف فقال تعالى في قصة عاد: (جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ)[2]. وقال ﷻ في قصة ثمود:(جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ)[3]. وهذا الإجمال والتفصيل بين السورتين دليل على أن جميع آيات وسور القرآن متماسكةً متناسبةً فيما بينها[4].

(1) سورة الأنعام: 165.

(2) سورة الأعراف: 69.

(3) سورة الأعراف: 74.

(4) ينظر: أسرار ترتيب القرآن: (102).

المبحث الثاني

التناسب في سورة الأنعام من حيث علاقاته البلاغية "علم المعاني".

المطلب الأول: التناسب في التكميل

التكميل هو: " أن يمدح إنسان إنساناً بصفة واحدة من صفات المدح، ويرى الاقتصار به على تلك الصفة فقط من المدح الذي لم يكمل، فيرى تكميله بإضافة صفة أخرى إلى تلك الصفة"[(1)].

وهو أيضاً: "أن تذكر شيئاً من أفانين الكلام، فترى في إفادته المدح كأنه ناقص لكونه موهما بعيب من جهة دلالة مفهومه فتأتي بجملة فتكمله بها تكون رافعة لذلك العيب المتوهم"[(2)].

وهو أيضاً بقوله: " هو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى تام، من مدح أو ذم أو وصف أو غيره من الأغراض الشعرية وفنونها، ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك المعنى فقط غير كامل، فيأتي بمعنى آخر يزيده تكميلاً، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة، ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم غير كامل فيكمله بذكر الكرم "[(3)].

ويمكن جمع هذه التعريفات بتعريف واحد لـ "التكميل" وهو:

أن يؤتى بمعنى تام – مدح أو ذم، صفة أو غيرها – ثم يؤتى بجملة أخرى عقبه مكملة له أو رافعة لعيب متوهم من جهة المعنى السابق.

ومن أمثلة التناسب من جهة التكميل في سورة الأنعام ما يأتي:

1- قوله ﷻ: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللـهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ

---

(1) بديع القرآن: (143/2).

(2) الطراز لأسرار البلاغة: (60/3).

(3) خزانة الأدب وغاية الأرب: (374/1).

سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللـهُ) [1].

وجه التكميل ههنا أن هذه الآية قد قسمت الكذب على اللـه إلى قسـمين: قسـم مطلـق، وقسم مقيد، فالمطلق قوله تعالى: " ومن أظلم ممن افترى على اللـه كذباً "، والمقيد بمثلـه قوله تعالى: " أو قال أوحي إليَّ ولم يوحَ إليه شيء "، ثم المقيـد أيضـاً عـلى قسـمين في هـذه الآية: قسم كذب الكاذب فيه على اللـه سبحانه وتعالى، وقسم كذب الكاذب على نفسـه، فالأول قوله : " أوحي إليَّ ولم يوحَ إليه شيء " والثاني قوله : " سأنزل مثل مـا أنـزل اللــه " ولو وقع الاقتصار على قوله: " أو قال أوحي إليَّ ولم يوحى إليه شيء " لكـان المعنـى المـراد تاماً، لكنه علم سبحانه وتعالى أنه بعد التمام يحسن أن يكمل فقال: " أو قال سأنزل مثـل ما أنزل اللـه " فتكمل المعنى بذلك بعد الـتمام[2] وبـذلك يتحقـق التناسـب في الآيـة مـن التكميل.

2- ومن عجيب التكميل أيضاً قوله ﷻ: (فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) [3]. فإن المعنى قد تم عند قولـه تعـالى: " ذو رحمـة واسـعة " لكـن يبقى على ظاهر الآية إشكال من جهة أن الضعيف إذا سمع قوله تعالى يأمر فيه نبيـه ﷺ أن يقول لهم - بعد حكاية التكذيب لنبيه-: إن ربكم ذو رحمة واسعة، مقتصراً على ذلـك، يتوهم أن رحمته لسعتها ربما شملت من كـذب نبيـه، فناسـب ذلـك الاحـتراس عـن هـذا الاحتمال بما جاء به مكملاً المدح بالانتقام من الأعداء كما يمدح بالرحمـة للأوليـاء فقـال: " ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين "، فحصل الوعيد للمكذبين بعد تقديم الوعد للمصـدقين، فإن البلاغة توجـب أن تكـون الرحمـة الموصـوفة بالسـعة للمحسـنين، ليقابـل ذلـك قولـه

(1) سورة الأنعام: 93.

(2) بديع القرآن: (145/2).

(3) سورة الأنعام: 147.

تعالى: " ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين "[1]. وبذلك يتحقق التناسب في الآية من جهة التكميل.

المطلب الثاني : التناسب في التذييل

التذييلُ: "هو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلّة، تشتمل على معناها، تأكيداً لمنطوق الأولى، أو لمفهومها"[2].

ومن أمثلة التذييل التي جاءت في سورة الأنعام:

1- قوله ﷻ:(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللـهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [3].

وبيان ذلك أن معنى لا يفلح الظالمون لا يظفرون بمطالبهم في الدنيا والآخرة، بل يبقون في الحرمان والخذلان، ونفى الفلاح عن الظالم فدخل فيه الأظلم والظالم غير الأظلم، وإذا كان هذا لا يفلح فكيف يفلح الأظلم. وجاءت جملة: إنه لا يفلح الظالمون للتذييل، ولذلك فصلت، لأنه إذا تحقق أنهم لا أظلم منهم فهم غير مفلحين، لأنه لا يفلح الظالمون فكيف بمن بلغ ظلمه النهاية[4].

2- قوله ﷻ:(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [5].

فقوله تعالى: " وهو بكل شيء عليم " تذييل وبيان ذلك أن بديع السماوات والأرض، يعني: هو الذي ابتدع خلقهما جل جلاله، فخلقهما ولم يكونا شيئاً قبله،وجاءت جملة: " وهو بكل شيء عليم" تذييلاً للآية، ومناسبة التذييل هنا

(1) ينظر: م.س: (144/2، 145).

(2) الطراز لأسرار البلاغة: (61/3)؛ وجواهر البلاغة: (204/1)؛ البلاغة العربية: (86/2).

(3) سورة الأنعام: 21.

(4) ينظر: قطف الأزهار: (861/2، 862)؛ والبحر المحيط: (98/4)؛ والتحرير والتنوير: (50/6).

(5) سورة الأنعام: 101.

وفائدته إتمام تعليم المخاطبين بعض صفات الكمال الثابتة لـلـه تعالى، ولذلك عدل فيها عـن الإضمار إلى الإظهار في قوله: "بكل شيء عليم" دون أن يقول "به عليم" لأن التذييلات يقصـد فيها أن تكون مستقلة الدلالة بنفسها لأنها تشبه الأمثال في كونها كلاماً جامعاً لمعـانٍ كثـيرة، فهي جملة معطوفة على جملة: " وخلق كل شيء " باعتبار ما فيها من التوصـيف لا باعتبـار الرد[1].

3- قوله ﷻ:(وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُـحُومَهُمَا إلاَّ مَـا حَمَلَـتْ ظُهُـورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَـا أَوْ مَـا اخْـتَلَطَ بِعَظْـمٍ ذَلِـكَ جَزَيْنَـاهُم بِبَغْـيِهِمْ وِإِنَّـا لَصَادِقُونَ)[2].

في هذه الآية تذييلان، الأول قوله تعالى: (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ) ، والثاني قوله تعـالى: (وِإِنَّا لَصَادِقُونَ) ، وبيان ذلك أنه لما حـرم اللـــه ﷻ عـلى اليهـود كـل ذي ظفـر مـن الإبـل والسباع والطيور التي تتقـوى بأظفارهـا، ومـن البقـر والغـنم التـي هـي ذوات الأظـلاف؛ ثـم استثنى اللـه ﷻ ما حملت ظهور هذه الحيوانات مـن الشـحوم مـما علـق بـالظهر والجنـب من داخل بطونهما، وكذلك الأمعاء التي هي متعاطفة متلوية، وما اختلط من الشحوم بعظـم مثل شحم الإلية فإن ذلك لا يحرم، ولما حرم عليهم هذه الطيبات قال تعالى: (ذَلِكَ جَزَيْنَـاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَـادِقُونَ) أي التحـريم العظـيم والجـزاء الكبـير وهـو تحـريم الطيبـات ليكـون عقوبةً لهم على بغيهم وظلمهم، واستعصائهم على أنبيائهم. فجاءت جملة: " ذلـك جزينـاهم ببغيهم" تذييلاً للآية، ومناسـبة التـذييل هنـا بيـان علـة تحـريم مـا حرمـه اللــه تعـالى عـلى بنــي إسرائيـل. ثـم قـال تعـالى: (وِإِنَّـا لَصَـادِقُونَ) فأكـد حقيقـة الخـبر وصـدق المُخـبِر، أي صادقون في هذه الأخبـار عـن التحـريم وعلتـه، لأن أخبارنـا صـادرة عـن العلـم المحـيط بكـل

(1) ينظر: جامع البيان: (11/ 11، 12)؛ والكشاف: (381/2)؛ والتحرير والتنوير: (249/6).

(2) سورة الأنعام: 146.

شيء والكذب محال علينا لاستحالة كل نقص على الخالق. وهذا تذييل آخر للجملة التي قبلها جاء مناسباً لمقصود الآية، وهو تحقيق أنّ اللـه حرم عليهم ذلك، وإبطال قولهم: إن اللـه لم يحرم علينا شيئاً[(1)].

المطلب الثالث: التناسب في إيجاز الحذف والقصر

ينقسم الإيجاز إلى قسمين: إيجاز حذف وإيجاز قصر: أما إيجاز الحذف فهو تركيب يحذف فيه شيء من أصل الكلام، والمحذوف: إما مفرد أو جملة ولا يكون ذلك إلا فيما زاد معناه على لفظه، وهو واضح يُنتبه إليه من غير كبير تكلف في استخراجه؛ لمكان المحذوف منه[(2)].

أما إيجاز القصر فهو: تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف بحيث يكون اللفظ – بالنسبة إلى المعنى – أقل من القدر المعهود عادة، وهذا النوع من الإيجاز يكون التنبُه له عسراً؛ لأنه يحتاج إلى فضل تأمل، وطول فكرة؛ لخفاء ما يستدل عليه[(3)].

ومن أمثلة التناسب في إيجاز الحذف التي وردت في سورة الأنعام ما يأتي:

1- قوله ﷻ: (وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [(4)].

هذه الآية خطاب للنبي ﷺ. و " لو " شرطية، وجوابها محذوف: أي: لشاهدوا أمراً فظيعاً هائلاً تقصر عنه العبارة، ومناسبة حذف الجواب ههنا ليقدره السامع أبلغ ما يكون

(1) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: (528/2)؛ ونظم الدرر: (737/2)؛ وتفسير المنار: (153/8)؛ والتحرير والتنوير: (107/7).

(2) ينظر: المثل السائر، ابن الأثير، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د،ط)، 1420ه، (74/2- 77)؛ وعروس الأفراح: (591/1).

(3) ينظر: م،ن: (586/1-591)؛ والتلخيص في علوم البلاغة: القزويني(ت739ه)، تح: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2009م، (55)؛ وأنوار الربيع في أنواع البديع: بن معصوم(ت1112ه)، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النجف الأشرف، ط1، 1388ه-1968م، (239/1)؛ وجواهر البلاغة: (198/1).

(4) سورة الأنعام: 27.

وليذهب في تقديره كل مذهب لأن المقام مقام تهويل، ولو صرَّح له بالجواب وطَّنَ نفسه عليه فلم يُقَدِّر كثيراً من ذلك، فكان حذفه أبلغ وتقديره أنسب[1].

2- قوله ﷻ:(وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) [2].

معنى الآية – والله أعلم - إن هؤلاء المفترين على الله كذباً، والمكذبين بآياته، لا يفلحون اليوم في الدنيا، ولا يوم نحشرهم جميعاً، يعني: يوم القيامة، فلفظ يوم ظرف زمان وناصبه محذوف تقديره: ويوم نحشرهم كان كيت وكيت، ومناسبة حذفه من الكلام ليكون أبلغ في التخويف لأن الحذف والإبهام في مقام التهديد والتهويل يفزع النفوس ويخلع القلوب فاستغني بذكر ما ظهر عما حذف [3].

ومن أمثلة التناسب في إيجاز القصر التي وردت في سورة الأنعام ما يأتي:

1- قوله ﷻ:(وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) [4]. سكن هنا من السكنى: بمعنى استقر وثبت، وقد وقع الإيجاز هنا بالاقتصار على ذكر الساكن ولم يذكر المتحرّك؛ وذلك لأن سكون الأجسام الثقيلة مثل الأرض والسماء في الهواء من غير شيء يمسكها أو دعامة تسندها أعجب وأدلّ على قدرة مُسَكِّنها فكان ذلك أنسب في الاقتصار على ذكر الساكن وعدم التعرض للمتحرك، وذكر الزركشي أوجهاً أخرى في قوله تعالى: " وله ما سكن في الليل والنهار " فقال: " قيل: المراد: وما تحرك وإنما آثر ذكر السكون لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد ولأن الساكن أكثر عدداً من المتحرك أو لأن كل متحرك يصير إلى السكون ولأن

---

(1) ينظر: الطراز: (176/3)؛ واللباب في علوم الكتاب: (88/8)؛ والبحر المديد: (110/2).

(2) سورة الأنعام: 22.

(3) ينظر: جامع البيان: (297/11)؛ والكشاف: (332/2)؛ والمحرر الوجيز: (281/2)؛ واللباب في علوم الكتاب: (71/8).

(4) سورة الأنعام: 13.

السكون هو الأصل والحركة طارئة "[1]. فهذا الكلام الطويل أوجـزه ﷻ بألفـاظ قليلـة ذات معـانٍ كثيرة[2].

2- قوله ﷻ: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَـا تَسْـقُطُ مِـن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[3].

جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: " والـلـه أعلم بالظالمين " والمقصود منها الإخبار بأن الـلـه اعلم بحال الظالمين والتدليل على ذلك بسعة علمه وقدرته وان الخلق في قبضـته وقدرتـه، وإحاطـة علمه بجميع الخفايا، وقد جـاء ذلـك بـأوجز الألفـاظ فـذكر الـبر والبحـر بقصـد زيـادة التعمـيم في الجزئيات الدقيقة فإن إحاطة العلم بالخفايا مع كونها أضعف الجزئيـات مـؤذن بإحاطـة العلـم بمـا هو أعظم وأولى به واندرج في ذلك جميع ما يكون في البر والبحر ثم ذكر الورقـة والحبـة التـي هـي أصغر من الورقة والتي هي من بذور النبات وتكون مظروفة في طبقات الأرض إلى أبعد عمق يمكن، ثم ذكر أيضاً سقوط الرطب واليابس فشمل ذلك الأشجار والنباتات التي فيها الحياة والتـي فارقتهـا، فيكون قد جمع ما من شأنه الحياة من الأشياء كلها في هذين اللفظين فـلا يشـذّ منهـا شيء عـلى أي شيء من الوجوه ثـم قـال تعـالى: " إلا في كتـاب مبـين " والمـراد بـه علـم الـلـه تعـالى. وقيـل اللـوح المحفوظ. فعلم من هذه الآيات عموم علمه تعالى بالكليات والجزئيات بألفاظ قليلة موجزة، وذلـك يناسب مقام الرد والاستدلال على علمه وقدرته وإحاطته بأعمال الظالمين[4].

3- قوله ﷻ:(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)[5].

قيـل إن هـذه الجملـة مـن حكايـة كـلام إبـراهيم ﵇ وإليـه ذهـب جمهـور المفسريـن

---

(1) البرهان في علوم القرآن: (119/3).

(2) ينظر: الصناعتين، (177/1)؛ والمحرر الوجيز، (272/2).

(3) سورة الأنعام: 59.

(4) ينظر: الصناعتين: (177/1)؛ والبحر المديد: (127/2)؛ والتحرير والتنوير: (135/6-138).

(5) سورة الأنعام: 82.

فيكون جواباً عن قوله ﷻ " فأي الفرقين أحق بالأمن "، فيكون قد تولى جواب استفهامه بنفسه ولم ينتظر جوابهم، وقيل ليس ذلك من حكاية كلام إبراهيم عليه السلام ، وقد انتهى قول إبراهيم عند قوله " إن كنتم تعلمون " بل هو كلام مستأنف من اللـــه تعـالى لابتـداء حكـم، فتكـون الجملـة مسـتأنفة استئنافاً ابتدائياً تصديقاً لقول إبراهيم عليه السلام. وعلى كلا القولين نلاحـظ أن الجـواب والتصـديق جـاء بصورة موجزة يحمل في طياته معانٍ متعددة فقد دخل تحت الأمن جميع المحبوبات؛ لأنه نفى بـه أن يخافوا شيئاً أصلاً فأمنوا من الفقر وأمنوا الموت وأمنوا زوال النعمة وأمنوا الجور، وغير ذلـك مـن أصناف المكاره؛ حتى لا نكاد نرى كلمة أجمع من هذه[1].

المطلب الرابع: التناسب في التقديم والتأخير

"وهو ضربان: الأول يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغـيَّر المعنى، والثاني يختص بدرجة التقدم في الـذكر لاختصاصـه بمـا يوجـب لـه ذلـك، ولـو أخـر لمـا تغـيَّر المعنى"[2]. وسنذكر عدداً من النماذج في التناسب في التقديم والتأخير مما ورد في سورة الأنعام:

1- قوله ﷻ:(الْحَمْدُ لـلـهِ الَّـذِي خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَـلَ الظُّلُـمَاتِ وَالنُّـورَ ثُـمَّ الَّـذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) [3]. نلاحظ أن القرآن قد قدم لفظ السماء وأخر لفظ الأرض وذلـك لأن السماء كالدائرة، والأرض كالمركز، وحصول الدائرة يوجب تعين المركز ولا ينعكس، فـإن حصول المركز لا يوجب تعين الدائرة لإمكان أن يحيط بـالمركز الواحـد دوائـر لا نهايـة لهـا، فلما كانت السماء متقدمة على الأرض بهذا الاعتبار ناسب تقديم ذكر السـماء عـلى الأرض بهذا الاعتبار، وكذلك بدأ بها لأنها أشرف وأكبر، وآياتها أدل وأكـثر، وعلـو مكانهـا، وتقـدمها

(1) ينظر: الصناعتين: (176/1)؛ والتحرير والتنوير: (187/6).

(2) المثل السائر: (35/2).

(3) سورة الأنعام: 1.

وجوداً على الأرض فكان ذلك أدعى لتقديمها على الأرض وأليق وأكثر مناسبة وملائمة(1).

2- قوله ﷻ:(وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ) (2).

الضر بالضم سوء الحال في الجسم وغيره ، وبالفتح ضد النفع، والمراد بالضر هنا السقم وبالخير العافية. وقيل: الضر الفقر والخير الغنى، والأحسن أن يبقى اللفظان على عمومهما، ويراد بالضر مطلق الضر الشامل للمرض والفقر وغير ذلك، وكذلك يراد بالخير مطلق الخير الشامل للغنى والصحة وغير ذلك، ويجدر الانتباه إلى أن الذي يقابل الخير هو الشر ولكن ناب عنه هنا الضر وعدل عنه إلى الشر ، لأن الشر أعم من الضر فأتى بلفظ الضر الذي هو أخص وبلفظ الخير الذي هو عام تغليباً لجهة الرحمة، ولما كان سياق الآيات في هذا الموضع يدل على الترهيب حيث قال الله تعالى: (قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (3). ناسب ذلك تقديم الضر على الخير مع أن المعهود تقديم الخير على الضر كما في قوله ﷻ: (فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ) (4).

3- قوله ﷻ : (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)(5).

جاء في هذه الآية ذكر اللعب واللهو وقد قدم اللعب على اللهو في هذه الآية وكذلك في قوله ﷻ:(وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ

(1) ينظر: مفاتيح الغيب: (477/12)؛ ونظم الدرر: (577/2)؛ وإرشاد العقل السليم: (104/3).

(2) سورة الأنعام: 17.

(3) سورة الأنعام: 15.

(4) سورة الفجر: 15؛ وينظر: البحر المحيط: (92/4، 93).

(5) سورة الأنعام: 32.

بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللـهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَـفِيعٌ وَإِن تَعْـدِلْ كُـلَّ عَـدْلٍ لاَّ يُؤْخَـذْ مِنْهَا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ) [1]. حيث قـدم اللعب ههنا على الـلـهو أيضاً، ومناسبة ذلك للسياق أن اللعـب زمانـه الصـبا والـلـهو زمانـه الشـباب وزمان الصبا مقدم على زمان الشباب فناسب تقديم اللعب على الـلـهو[2].

4- قوله ﷻ:(وَجَعَلُواْ لـلـهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُـمْ وَخَرَقُـواْ لَـهُ بَنِـينَ وَبَنَـاتٍ بِغَـيْرِ عِلْـمٍ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ) [3].

نلاحظ أن سياق الآية جاء على النحو الآتي " وجعلوا لـلـه شركاء الجـن " حيـث قـدم الجـار والمجرور على المفعول، ولم يقل " وجعلوا الجن شركـاء لـلــه " مـثلاً وذلـك للإشـارة إلى اسـتعظام أن يتخذ لـلـه شريك ملكاً كان أو جنياً أو إنسياً أو غـير ذلـك. ولـذلك ناسـب تقـديم اسـم الـلــه عـلى الشركاء، وأيضا فإن من المناسب تقديم لفظ الجلالة المشعر بالتوحيد النافي للشرك وذلك لغرض الرد عليهم بدليل أنه ذكر بعد ذلك الخلق فقال " وخلقهم " أي: والمخلوق لا ينبغي أن يكون شريكا ولا يصلح لذلك[4].

---

(1) سورة الأنعام: 70.

(2) ينظر: أسرار التكرار في القرآن: الكرماني، تح: عبد القادر احمد عطا، دار الفضيلة، (د.ط)، (107/1، 108).

(3) سورة الأنعام: 100؛ ومن الآيات الدالة على التأخير والتقديم: ينظر: الأنعام: الآيات: (17، 32، 102، 124).

(4) ينظر: الكشاف: (380/2)؛ وكشف المعاني: (164، 165).

المبحث الثالث

التناسب في سورة الأنعام من حيث علاقاته البلاغية "علم البديع".

المطلب الأول: التناسب في الاحتباك

عرَّف العلماء الاحتباك بأكثر من تعريف وسموه بأكثر من اسم فقد سماه الزركشي (ت794هـ) بالحذف المقابلي وعرَّفه بقوله: "هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه"[1]. وسماه الجرجاني[2] (ت816هـ) الاحتباك وعرَّفه بتعريف الزركشي نفسه[3]، وعرَّفه السيوطي بقوله: " هو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول "[4]. مثاله قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ) [5]، فإن تقدير الآية – والله أعلم - إن افتريته فعلي إجرامي وأنتم برآء منه وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما

(1) البرهان في علوم القرآن: (129/3).

(2) علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي عالم الشرق ويعرف بالسيد الشريف قدم القاهرة وأخذ بها، وله تصانيف يقال إنها تزيد على الخمسين منها تفسير الزهراويين، وكتاب التعريفات، ومن الشروح شرح فرائض الحنفية، وقد تصدى للإقراء والتصنيف والفتيا وتخرج به أئمة، وكثر أتباعه وطلبته واشتهر ذكره وبعد صيته. مات في يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر سنة (816ه) بشيراز ودفن بتربة وقب. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين أبو الخير محمد السخاوي(ت902ه)، (د.ت)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، (328/5، 329).

(3) ينظر: التعريفات، الجرجاني، تح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1403ه-1983م، (12).

(4) الإتقان في علوم القرآن: (204/3-206)؛ ونظم الدرر: (31/2، 32).

(5) سورة هود: 35.

تجرمون[1].

ومن أمثلة الاحتباك في سورة الأنعام ما يأتي:

1- قوله ﷻ: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللـهِ يَجْحَدُونَ) [2].

ففي الآية حذف والتقدير: "قد نعلم إنه ليحزنك الكذب الذي يقولونه فلا تحزن فإنهم لا يكذبونك"، فحذف لفظ الكذب من الجملة الأولى لدلالة قوله تعالى " فإنهم لا يكذبونك " عليه، وحذف لفظ " فلا تحزن " من الجملة الثانية لدلالة قوله تعالى " ليحزنك " عليه. ومناسبة الاحتباك بحذف سبب الحزن من الجملة الأولى وهو الكذب وحذف المسبب من الجملة الثانية وهو فلا تحزن إظهار شرف النبي ﷺ ومنزلته، وإظهار الأدب معه من جهة عدم ذكر الكذب في جانبه لأنه المنزه عنه، ولأن هذه الكلمة كانت من أبغض الكلمات إليه ﷺ . واستعظام جنايتهم المنبئ عن عظيم عقوبتهم، فكأنه قال لا تحزن ولا تهتم بتكذيبهم فإنهم لا يكذبونك. " ولكن الظالمين بآيات اللـه يجحدون[3].

2- قوله ﷻ: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللـهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) [4].

مقصود الآية المقارنة بين الأحياء والأموات، والمراد بالأحياء المؤمنون وبالأموات الكافرون فقال تعالى: " إنما يستجيب " أي في مجاري عاداتكم " الذين يسمعون " أي الذين

---

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن: (129/3).

(2) سورة الأنعام: 33.

(3) ينظر: البحر المحيط: (116/4)؛ ونظم الدرر: (627/2)؛ وإرشاد العقل السليم: (126/3، 127)؛ والاحتباك في القرآن الكريم رؤية بلاغية: الدكتور أحمد فتحي رمضان وعدنان عبد السلام أسعد، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد4، العدد2، 2006، (70)، وهو بحث مستل من رسالة الماجستير " الاحتباك في القرآن الكريم - دراسة بلاغية – للطالب عدنان عبد السلام أسعد، إشراف الدكتور احمد فتحي رمضان، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2005م.

(4) سورة الأنعام: آية: 36: ومن الأمثلة الدالة على الاحتباك في سورة الأنعام، الآيات: (70، 80، 86، 96).

فيهم قابلية السمع لأنهم أحياء فيتدبرون حينئذ ما يلقى إليهم فينتفعون بـه ، وهـؤلاء الكفـار قـد ساووا الموتى في عدم قابلية السماع للختم على مشـاعرهم " والمـوتى " أي كـل متصـف بـالموت حسـاً ومعنى " يبعثهم اللـه " أي الملك المحيط علماً وقدرة ، فهو قادر عـلى بعـثهم بإفاضـة الإيمـان عـلى الكافر وإعادة الروح إلى الهالك فيسمعون حينئذ، ففي الآية احتباك تقديره –واللــه أعلـم – " إنمـا يستجيب الأحياء الذين يسمعون والموتى لا يسمعون إلا أن يبعثهم اللـه بإفاضة الإيمان عليهم فهـو القادر على ذلك "، فحذف من الأول " الأحياء " لدلالة " الموتى " عليها ، ومـن الثـاني " لا يسـمعون " لدلالة " يسمعون " عليه[1].

ومناسبة الاحتباك ههنا – واللـه أعلم – الإشارة إلى سرعة استجابة الأحياء – المؤمنين – فهم بمجرد توجيه الدعوة لهم يستجيبون بسرعة، وكذلك الإشـارة إلى قدرتـه تعـالى عـلى بعـث الميـت – الكافر- بسرعة أيضاً، فلما كانت استجابة المؤمن وبعث الكافر وأخـذه عـلى وجـه السرعـة مـن غـير منازعة ناسب الحذف بطريق الاحتباك للإشارة إلى ذلك.

المطلب الثاني: التناسب في الجمع

الجمع هو: (أن تدخل شيئين فصاعداً في نوع واحد)[2].

وهو: (أن تجمع بين شيئين فصاعداً مختلفين في حكم واحد)[3]. وهـو أحـد موضـوعات علـم البديع[4].

ومما جاء منه في سورة الأنعام:

1- قوله ﷻ: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَـالُكُم مَّـا فَرَّطْنَـا فِي الكِتَـابِ

(1) ينظر: نظم الدرر: (630/2).

(2) مفتاح العلوم: (425/1).

(3) الطراز: (78/3)؛ وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: (251/2)؛

(4) الإتقان في علوم القرآن: (284/3).

مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [1].

جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: (وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [2]. ونلاحظ أن هذه الآية التي نحن بصددها قد جمعت الدابة –وهو كل ما يدب ويمشي على الأرض– والطائر في حكم واحد وهو كون كل منهما أمة كالبشر، ومعنى الآية –والله أعلم- وما من دابة تدب في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء، إلا أمم أمثالكم مقدرة أرزاقها، محدودة آجالها، معدودة أجناسها وأصنافها، محفوظة ذواتها، معلومة أماكنها، كلها في قبضة الحق، وتحت قدرته ومشيئته، فدل ذلك على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره، فيدل على قدرته على أن ينزل آية، وعلى بعثهم وحشرهم لأنه عالم بما تنقص الأرض منهم، كما قال تعالى: (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [3]. أي: ما فرطنا مِنْ شَيْءٍ في اللوح المحفوظ، فإنه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق، لم يهمل فيه أمرَ حيوان ولا جماد، ظاهرًا ولا باطنًا، أو القرآن فإنه قد اشتمل على كل ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصلاً ومجملاً، حتى قال ابن عباس: " لو ضَاع لي عقال لوجدته في كتاب الله تعالى" أي: باعتبار العموم وأصول المسائل، ومناسبة ذكر الدابة والطائر في هذه الآية وجمعهما في حكم واحد الدلالة على الاستغراق[4] وزيادة التعميم والإحاطة لكل ما في السموات وما في الأرض من الأجناس والأمم ولذلك جاءت زيادة " في الأرض " بعد ذكر لفظ الدابة وجاءت زيادة " يطير بجناحيه " بعد ذكر الطائر فكأنه قيل: وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع،

(1) سورة الأنعام: 38.

(2) سورة الأنعام: 37.

(3) سورة الأنعام: 38.

(4) الاستغراق: الاستيعاب، والاغتراق مثل الاستغراق، واغتراق النَّفَسِ استيعابه في الزفير. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (1536/4)، مادة "غرق"؛ ولسان العرب: (3245/5)، مادة "غرق".

وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها، وقد دلَّ ذلك الاستغراق والتعميم على عظم قدرته، ولطف علمه، وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس، المتكاثرة الأصناف، وهو حافظ لما لها وما عليها، مهيمن على أحوالها، لا يشغله شأن عن شأن، وأنّ المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان، وهذا أدل دليل على أنه قادر على أن ينزل آية[1].

2- قوله ﷻ: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) [2].

في هذه الآية الكريمة يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : اذكر قول إبراهيم لأبيه أزر " أتتخذ أصناما آلهة" أي: أتكلف نفسك إلى خلاف ما تدعو إليه الفطرة السليمة بأن تجعل لك أصناماً آلهة تعبدها وتخضع لها ولا نفع فيها ولا ضر، فنبهه بهذا الإنكار على أن معرفة بطلان ما هو متدين به لا يحتاج إلى كثير تأمل، بل هو أمر بدهي أو قريب منه ، فإنهم يباشرون أمرها بجميع جوانبهم ويعلمون أنها مصنوعة وليست بصانعة، وكثرتها تدل على بطلان ألوهيتها كما أشار إليه قوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا) [3]. نلاحظ هنا أن إبراهيم عليه السلام لما خص بالنصيحة أقرب الخلق إليه، عم بقية أقاربه فقال: " إني أراك وقومك " أي في اتفاقكم على هذا " في ضلال " أي بُعد عن الطريق المستقيم " مبين " أي ظاهر جداً ببديهة العقل يتبين لمن أبصَره أنه جوْرٌ عن قصد السبيل، وزوالٌ عن محجة الطريق القويم، مع مخالفته لكل نبي نبأه الله تعالى من آدم عليه السلام فمن بعده، فهو مع ظهوره في نفسه مُظهِر للحق من أن الإله لا يكون إلا كافياً لمن يعبده

(1) ينظر: الكشاف: (342/2، 343)؛ والجامع لأحكام القرآن: (419/6-421)؛ وروح المعاني: للآلوسي(ت1270ه)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415ه، (98/14)؛ والبحر المديد: (115/2).

(2) سورة الأنعام: 74.

(3) سورة الأنبياء: 22.

وإلا كان فقيراً إلى تأله من يكفيه، ونلاحظ في هذه الآية أن إبراهيم عليه السلام قد جمع أباه وقومه في حكم واحد وهو الضلال المبين فقد ضل هو وهم عن توحيد الله وعبادته، الذي استوجب عليهم إخلاص العبادة له بآلائه عندهم، دون غيره من الآلهة والأوثان، ومناسبة ذكر إبراهيم لأبيه إلى جانب قومه وتشريكه معهم في حكم واحد مع أنه داخل فيهم وكان يكفيه أن يقول مثلا " إني أراكم في ضلال مبين " توبيخه وتعييبه في عبادته الأصنام دون بارئه وخالقه وإقامة الحجة عليه لأنه هو المخاطب أولا بكلام إبراهيم عليه السلام فهو المقصود أولا بالخطاب ثم قومه ثانياً من بعده[1].

3- قوله عز وجل: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ . وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[2]. نلاحظ أن الله تعالى قد ذكر أسماء كثيرة لأنبيائه وأشركهم في حكم وهو الهداية ثم قال تعالى: (وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[3]. أي: وهدينا أيضاً من آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى ذكره "ومن ذرياتهم وإخوانهم"، آخرين سواهم - لم يسمهم - هديناهم للحق والدين الخالص الذي لا شرك فيه، فوفقناهم

---

(1) ينظر: جامع البيان: (465/11، 469)؛ ونظم الدرر: (657/2، 658)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (262).

(2) سورة الأنعام: 83-87.

(3) سورة الأنعام: 87.

له "واجتبيناهم" واخترناهم لديننا وإبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليه، كالذي اخترنا ممن سمَّينا. ولما نص سبحانه على هؤلاء ، وختم بتفضيل كل على العالمين ، أتبعه على سبيل الإجمال أن غيرهم كان مهديا، وأن فضلهم هو سبب ذكر هؤلاء بأسمائهم، ومناسبة تعداد هذه الأسماء إجمالاً وتفصيلاً وجمعهم في حكم واحد الترغيب في سلوك هذا السبيل بكثرة سالكيه والحث على منافستهم في السلوك فيه وحسن الاستقامة عليه[1].

المطلب الثالث: التناسب في الجمع مع التقسيم

الجمع مع التقسيم هو أن يجمع المتكلم بين أمرين أو أكثر تحت حكم واحد ثم يقسم أو يقسم ثم يجمع فالأول كقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ .) [2]. فهنا قد جمع الله ﷻ الذين اصطفاهم من عباده تحت حكم واحد وهو توريثهم الكتاب ثم قسمهم إلى ثلاثة أصناف: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات[3]. ومثال الثاني قول الشاعر:

قومٌ إذا حَاربوا ضَروا عدوهم ... أو حاولوا النفعَ في أشياعهم نَفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة ... أن الخلائق فاعلم شرها البدع

فإنه قسم في البيت الأول حيث ذكر ضرهم للأعداء ونفعهم للأولياء ثم جمع في الثاني فقال سجية تلك[4].

ومما وقع منه في سورة الأنعام:

(1) ينظر: جامع البيان: (512/11)؛ والجامع لأحكام القرآن: (34/7)؛ ونظم الدرر: (669/2)؛ والتفسير المنير: (280/7).

(2) سورة فاطر: 32.

(3) ينظر: مفتاح العلوم: (426/1)؛ والطراز: (78/3، 79)؛ وأنوار الربيع في أنواع البديع: (173/5).

(4) م.ن: (426/1)؛ ونهاية الأرب: (128/7)؛ والإيضاح في علوم البلاغة: (336/1).

1- قوله ﷻ: (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)[1].

فهذه الآية قد جمعت أشياء متعددة تحت حكم واحد، ثم قسمها في أكثر من موضع وهي كما يأتي:

- الموضع الأول: قوله تعالى: " وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات " أي: هو الذي أنشأ وأحدث وابتدع خلقاً، وهذا الخلق المُبدَع هو الجنات أي: البساتين، فجمع الجنات والبساتين تحت حكم واحد وهو الإنشاء ثم قسمها فقال: معروشات، وهي ما عرش أي رفع الناس من الكروم " وغير معروشات " غير مرفوعات مبنيَّات، لا ينبته الناس ولا يرفعونه، ولكن الله يرفعه وينبته وينمِّيه.
- الموضع الثاني: قوله ﷻ: " والنخل والزرع مختلفاً أكله " أي: أنشأ وخلق النخل والزرع والمراد به شجر الزيتون وشجر الرمان، فجمع النخل والزرع تحت حكم واحد أيضاً وهو الإنشاء ثم قسمها فقال مختلفاً أكله فمنه ثمر ومنه حب ومنه حلو ومنه حامض.
- الموضع الثالث: قوله ﷻ: " والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه " أي: وأنشأ الزيتون والرمان فجمعهما تحت حكم واحد وهو الإنشاء ثم قسمهما بقوله " متشابهاً " أي: في المنظر " وغير متشابه " أي: في الطعم فمنه الحلو ومنه الحامض ومنه المز[2]. فهذه الأشياء " الجنات، النخل، الزرع، الزيتون، الرمان " تشترك في

(1) سورة الأنعام: 141.

(2) مَزَّهُ يَمُزُّهُ مَزًّا ومزازَةً، أي مصَّه. والتَمَزُّزُ: تمصُّصُ الشراب قليلاً قليلاً، وشراب مز، ورمان مُزٌّ: بين الحلو والحامض. والمُزَّةُ بالضم: الخمر التي فيها طعمُ حموضةٍ ولا خير فيها. والمَزَّةُ بالفتح: الخمر اللذيذة الطعم، سمِّيت بذلك للذعها اللسان. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (896/3). مادة "مزز".

حكم واحد وهو الإنشاء وتنقسم إلى الأقسام التي جاء ذكرها في الآية.

ومناسبة الجمع بين هذه الأشياء في هذه الآية إعلام المؤمنين والامتنان بما أنعم الـلــه تبـارك وتعالى عليهم من فضله وتنبيههم على موضع إحسانه وتعريفهم ما أحـل وحـرم وقسـم في أمـوالهم من الحقوق حيث ختم الآية بقوله تعالى: (كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُـواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [1]. ومناسبة التقسيم في هذه الآية تحسين الموصوف والتذكير بعجيب خلـق الـلـه، وأيضاً التذكير بنعمة الـلـه أن ألهم الإنسان إلى جعلها –أي الجنـات والأشـجار والـزروع- عـلى صفتين أو صفات، فإن ذكر محاسن مـا أنشـأه الـلــه يزيـد في المنـة، كقولـه تعـالى في شـأن الأنعـام: (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) [2].

2- قوله ﷻ:(وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الـلـهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ الـلـهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الـلـهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ الـلـهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [3].

يقــول تعــالى ذكــره: وأنشــأ مــن الأنعــام حمولــة وفرشــاً، مــع مــا أنشــأ مــن الجنــات

---

(1) سورة الأنعام: آية: 141.

(2) سورة النحل: 6؛ وينظر: جامع البيان: (12/155-177)؛ والتحرير والتنوير: (7/178، 179).

(3) سورة الأنعام: 142-144.

المعروشات وغير المعروشات، وما يحمل عليه من الإبل وغيرها، وصغار الإبل التي لم تدرك أن يُحْمَل عليها. ومعنى الآية –والـلـه أعلم- وأنشأ من الأنعام حمولة تحمل الأثقال وفرشاً يفرش للذبح أو للتوليد ، ويعمل من وبره وشعره فرش؛ فجمع أنواع الأنعام وهي " الإبل، والبقر، والغنم، والمعز " تحت حكم واحد وهو الإنشاء ثم قسمها إلى قسمين وهما الحمولة والفرش، ومناسبة الجمع والتقسيم هنا الامتنان والتمهيد لإبطال تحريم بعض الأنعام فإن للامتنان بذلك أثراً واضحاً في إبطال تحريم بعضها الذي هو تضييق في المنة ونبذ للنعمة؛ ثم قسم سبحانه وتعالى كلاًّ من تلك الأصناف الأربعة من الأنعام وهي " الإبل، والبقر، والغنم، والمعز " إلى زوجين ذكر وأنثى فصار المجموع ثمانية فقال سبحانه وتعالى: (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلـذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ الـلـهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الـلـهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ الـلـهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [1]. وهذا تقسيم على الكفار حتى يتبين كذبهم على الـلـه، وتوبيخ لهم، حيث حرموا بعض الذكور مرة وبعض الإناث مرة، فألزمهم تحريم جميع الذكور، إن كان علة التحريم وصف الذكورة، أو تحريم جميع الإناث، إن كانت العلة الأنوثة، أو تحريم الجميع إن كان المُحرم ما اشتملت عليه الأرحام، ولا وجه للتخصيص فإن أسباب التحريم المزعومة تتأتى في كل نوع لأن الـلـه لو حرَّم أكل بعض الذكور من أحد النوعين لحرم البعض الآخر، ولو حرم أكل بعض الإناث لحرم البعض الآخر. لأن شأن أحكام الـلـه أن تكون مطردة في الأشياء المتحدة بالنوع والصفة، ولو حرم بعض ما في بطون الأنعام على النساء لحرم ذلك على الرجال، وإذ لم يحرم بعضها على بعض مع تماثل الأنواع والأحوال. أنتج أنه لم يحرم

---

(1) سورة الأنعام: 143-144.

البعض المزعوم تحريمه، لأن أحكام اللـه منوطة بالحكمة، فدل على أن ما حرمـوه إنمـا حرمـوه مـن تلقاء أنفسهم تحكماً واعتباطاً، وكان تحريمهم ما حرموه افـتراءً عـلى اللــه. فمناسـبة إيرادهـا بهـذا العنوان وهذا العددِ التمهيد لما سيق له الكلامُ من الإنكـار المتعلّـقِ بتحـريم كـلٍّ واحـدٍ مـن الـذكر والأنثى وبما في بطنها وتوضيح حال الأنعام بتفصيلها أولا إلى حمولة وفـرش ثـم بتفصـيلها إلى ثمانيـة أزواج حاصلة من تفصيل الأولى –الحمولـة- إلى الإبـل والبقـر، وتفصـيل الثـاني –الفـرش- إلى الضـأن والمعز ثم تفصيل كل من الأقسام الأربعة إلى الذكر والأنثى كلُّ ذلك لتحرير الموادِّ التي تقوّلـوا فيهـا عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم بإظهار كذبهم وافترائهم في كـل مـادة مـن تلـك المواد بتوجيه الإنكار إليها مفصلة[1].

المطلب الرابع: التناسب في الجمع مع التفريق والتقسيم

وهـو عبـارة عـن أن يجمـع المـتكلم أمـوراً متعـددة تحـت حكـم, ثـم يفـرق بينهـا, ثم يقسم ويضيف إلى كل ما يناسـبه, كقولـه ﷻ: (يَـوْمَ يَـأْتِ لاَ تَكَلَّـمُ نَفْـسٌ إِلاَّ بِإِذْنِـهِ فَمِـنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِـي النَّـارِ لَهُـمْ فِيهَـا زَفِـيرٌ وَشَـهِيقٌ . خَالِـدِينَ فِيهَـا مَـا دَامَـتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّـكَ فَعَّـالٌ لِّـمَا يُرِيـدُ . وَأَمَّـا الَّـذِينَ سُـعِدُواْ فَفِـي الْجَنَّـةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ)[2]. فجمع الأنفـس في حكـم واحـد وهـو عـدم الـتكلم بقولـه "لا تكلـم نفـس" فـإن الـنفس عامـة لأنهـا نكـرة في سياق النفي والنكرة في سياق النفي تفيد العموم, ثم فرق بأن أوقـع التبـاين بينهـا بـأن بعضـها شقي, وبعضها سعيد, لقوله "فمنهم شقي وسعيد" إذ الأنفـس وأهـل الموقـف واحـد, ثـم قسـم

---

(1) ينظر: جامع البيـان: (12/178-182)؛ والجـواهر الحسـان في تفسـير القـرآن: (2/524)؛ ونظـم الـدرر: (2/728-729)؛ وإرشاد العقل السليم: (3/192-194)؛ والتحرير والتنوير: (7/93-102).

(2) سورة هود: 105-108.

وأضاف إلى السعداء ما لهم من نعيم الجنة, وإلى الأشقياء ما لهم من عذاب النار[1].

ومما جاء من هذا النوع في سورة الأنعام ما يأتي:

1- قوله ﷻ: (وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ) [2].

هذه الآية تحكي ما كان يعمل أهل الجاهلية في أموالهم فقد كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيباً، وللأوثان نصيباً، فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين، وما جعلوه للأصنام أنفقوه عليها وعلى خدمها، فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الأوثان تركوه وقالوا: إن الله غني عن هذا، وإن سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان، وقالوا: إنها محتاجة، فهذه الآية ذكرت أن المشركين جعلوا من أموالهم نصيبين وهذا هو الجمع، ثم فرقوا بين النصيبين فجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيباً، فقالوا هذا لله، وهذا لشركائنا، يعني: الأوثان، ثم أضافوا إلى كل قسم ما يناسبه حسب زعمهم " فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم "، ولذلك رد عليهم الباري تبارك وتعالى بقوله: " ساء ما يحكمون "، أي: بئس ما يقضون، ومناسبة ذكر الجمع والتفريق مع التقسيم في هذه الآية التعجيب من فساد شرعهم وتوبيخهم على هذه القسمة، والرد عليهم بأن ترجيح جانب الأصنام على جانب الله بعلة تقتضي ترجيح جانب الله لإلهيته وعدم صلاحيتها –أي الأصنام- للإلهية بسبب حاجتها إنما هو محض سفه وجهالة فإنهم عللوا ذلك بأن الله غني وهي محتاجة[3].

---

(1) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: (254/2، 255)؛ وأنوار الربيع في أنواع البديع: (176/5).

(2) سورة الأنعام: 136.

(3) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: (162/2)؛ ومحاسن التأويل: (498/4، 499).

2- قوله ﷻ: (وَقَالُواْ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نّشَاء بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللـهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ) [1].

وهذا جمع وتفريق وتقسيم آخر فإن الآية تخبر بأن المشركين جمعوا الحرث والأنعام وهو متعدد تحت حكم واحد وهو "الحجر" والحجر في كلام العرب الحرام. يقال:"حَجَرت على فلان كذا"، أي حرَّمت عليه[2]، ومنه قوله ﷻ: (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا) [3]. فحرموا أنعامهم وحرثهم ثم فرقوا بينها وقسموها فجعلوها أجناساً بهواهم، ونسبوا ذلك التجنيس[4] إلى اللـه افْتِراءً عليه، فصنفوا أنعامهم ثلاثة أصناف

وجعلوا لكل صنف حكماً حسب أهوائهم وذلك على النحو الآتي:

الصنف الأول: مُحْجَرٌ على مالكه انتفاعه به وإنما ينتفع به من يعينه المالك.

والصنف الثاني: أنعام حرمت ظهورها، أي حرم ركوبها، منها الحامي لا يركبه أحد، ومنها أنعام يحرمون ظهورها بالنذر، يقول أحدهم: إذا فعلت الناقة كذا من نسل أو مواصلة بين عدة من إناث وإذا فعل الفحل كذا وكذا حرم ظهره.

والصنف الثالث: أنعام لا يذكرون اسم اللـه عليها، أي لا يذكرون اسم اللـه عند نحرها أو ذبحها، يزعمون أن ما أهدي للجن أو للأصنام يذكر عليه اسم ما قرب له، ويزعمون أن اللـه أمر بذلك لتكون خالصة القربان لما عينت له.

---

(1) سورة الأنعام: 138.

(2) جامع البيان: (140/12).

(3) سورة الفرقان: 22.

(4) الجنس: كل ضرب من الشيء، وهو أعم من النوع. ومنه المجانسة والتجنيس.ومن الناس والطير، ومن حدود النحو والعروض والأشياء: جملة، والجميع: الأجناس. ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله، وفلان يجانس البهائم، ولا يجانس الناس إذا لم يكن له تمييز ولا عقل. ينظر: تهذيب اللغة: (312/10)، مادة: "جنس"؛ والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (915/3)، مادة: "جنس".

ثم قال تعالى: (وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَـامِ خَالِصَـةٌ لِّـذُكُورِنَا وَمُحَـرَّمٌ عَـلَى أَزْوَاجِنَـا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ) [1].

وهذا خبر عن دينهم في أجنة الأنعام التي حجروهـا أو حرمـوا ظهورهـا، فكـانوا يقولـون في أجنة البحيرة والسائبة: إذا خرجت أحياء يحل أكلها للـذكور دون النسـاء، وإذا خرجـت ميتـة حـل أكلها للذكور والنساء، فالمراد بما في البطـون الأجنـة لا محالـة، ومناسـبة هـذا الجمـع والتفريـق مـع التقسيم هو التعجيب من فساد شرعهم –كما ذكرنا- وبيان كيف أنهم يقولون على اللـه غير الحـق فإنهم نسبوا ذلك إلى اللـه تعالى زورا وبهتانا[2].

---

(1) سورة الأنعام: 139.

(2) ينظر: جامع البيان: (12/139-146)؛ والكشاف: (2/403،402)؛ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي، تـح: يوسـف عـلى بـديوي، دار الكلـم الطيـب، بـيروت، ط1، 1419ه-1998م، (1/541)؛ والبحـر المديـد: (2/176)؛ والتحرير والتنوير: (7/79-84).

الخاتمة

لقد أنزل الحق سبحانه وتعالى كتابه الكريم على نبيه محمد ﷺ بلسان عربي مبين وأسلوب حكيم خارج عن قدرة البشر، ونمط رفيع فيه عبرة لمن اعتبر، وقد عجز عن مجاراة هذا الكتاب العظيم أهل الفصاحة والبلاغة والشعر من العرب فضلا عن غيرهم، والتحدي والإعجاز به قائم إلى يوم القيامة في كل المجالات، وعجائبه لا تنقضي على جميع الأصعدة وفي كل الأزمنة، ومن بين ذلك أسلوب جمله وكلماته، وتناسق آياته وموضوعاته، وقد اهتم كثير من أهل العلم -قديما وحديثا- بدراسة ذلك التناسب والتناسق والترابط بين كلمات القرآن وآياته وسوره، نظرا لإدراكهم أهمية هذا العلم العظيم، وإظهارا لإعجاز القرآن وحسن ترتيبه وتماسك أجزائه وآياته وجمله، وظلت تلك الدراسات تتوالى حتى تبلورت وأظهرت لنا فناً من فنون التفسير وعلماً من علومه وهو "علم التناسب"، فهو علم قديم في مضمونه، جديد في طرحه وعرضه، وقد جاءت هذه الدراسة امتدادا لتلك الدراسات، حاول الباحث من خلالها أن يجمع مسائل هذا العلم المنثورة بين تلك السطور، هادفا لتحقيق جملة من الأمور، أهمها:

1- جمع ما هو منثور في ثنايا التفاسير من مباحث التناسب لسورة الأنعام ووضعه في قالب واحد.

2- التعريف بعلم المناسبة أو التناسب، وإظهار الفرق بينه وبين التناسق الموضوعي والوحدة الموضوعية، والتأكيد على وجود التناسب في السورة.

معرفة مقاصد سورة الأنعام، ومعرفة فضلها وتاريخ نزولها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها من السور.

الوصول إلى الغرض الذي أنزل من أجله القرآن وهو التدبر والاتعاظ.

وقد اتبع الكاتب في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بالاعتماد على كتب التفسير وكتب علوم القرآن التي تذكر التناسب بين آيات السورة وبين جمل ومفردات الآية الواحدة، ثم بعد الاستقراء والإطلاع أستنبط مما كتبه المفسرون وأوظفه

في إظهار التناسب بين موضوعات السورة والترابط بين أجزائها، وهـذا جهـد المقـل ورأي مـن يقـول القول اليوم ويخالفه غدا فما كان فيه من صواب فمن الـلـه وحـده ومـا كـان فيـه مـن خطـأ فمـن نفسي ومن الشيطان والـلـه ورسوله منـه بـراء، وآخـر دعونـا أن الحمـد لـلــه رب العـالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

النتائج والتوصيات

في نهاية رحلتنا مع القرآن الكريم في ظلال سورة الأنعام، وبعد أن منَّ الـلـه سـبحانه وتعـالى علينا بتدبر آيات تلك السورة والبحث في مضامينها أود أن أوجز أهم النتائج التي توصلت إليها:

- إن علم التناسب هو أحد علـوم القـرآن وهـو علـم لـه وجـوده الحقيقـي في كتـب التفسـير وغيرها وله حقيقته الواقعية، وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين.
- إن هذا العلم من العلوم المهمة التي قلَّ الاعتناء بها، وعلى الرغم من أن كوكبة من العلـماء قد بذلوا جهدا كبيراً في تـدوين مباحثـه إلا إنَّ هـذه المباحـث ظلـت متنـاثرة في ثنايـا كتـب التفسير وعلوم القرآن وغيرها.
- لم يرد في تسمية سورة الأنعام غير هذا الاسم.
- بعد النظر والتأمل في السورة الكريمة ظهر أن موضوعها: تقرير أركان الإيمـان، مـن التوحيـد والبعث والرسالة، والموضوعات التـي عالجتهـا إبـراز حقيقـة البعـث، وإقامـة الأدلـة عليهـا، والكلام على الجزاء فيها، ووعد المؤمنين بمزيد من الثواب، ووعيد الكافرين بشديد العقاب.
- لاحظنا أن التناسب بين اسم السورة وبين موضوعاتها متحقق بشكل واضح، وكذلك التناسب بين مفردات السورة وجملها وآياتها وموضوعاتها.
- تنوعت مباحث التناسب في سورة الأنعام إلى أشـكال عـدة مـما حـدا بالباحـث إلى الاقتصـار على عدد منها. وذلك باعتبار أن هذه رسالة ماجستير محددة بمساحة.
- بعـد الدراسـة والبحـث لاحظنـا وجـود تـرابط بـين علـم التناسـب مـن جهـة، والتناسـق

الموضوعي والوحدة الموضوعية من جهة أخرى.

- بعد التأمل والتدبر في سورة الأنعام لاحظنا وجود تناسب بين أجزاء الآية الواحدة، وبين الآية والآية، وبين فاتحة السورة وخاتمتها، وهو ما يسمى "بالتناسب الداخلي"، كما لاحظنا وجود التناسب بين سورة الأنعام والسور الأخرى، وبين آيات السورة الكريمة وآيات أخرى من سور أخرى، وهو ما يطلق عليه اسم " التناسب الخارجي"، كما لاحظنا وجود تناسب وتناسق بين فاصلة الآية، وأجزاء الآية نفسها.
- وأخيراً جاءت الدراسة التطبيقية لربط علم التناسب مع باقي العلوم اللغوية والبلاغية.
- وبالنظر لجميع ما تقدم فإن الباحث يوصي ببذل الجهود وتضافر الطاقات في الكتابة في هذا الجانب وتغطيته بالدراسات المستفيضة لدراسة التناسب في بقية سور القرآن الكريم خدمة لكتاب الله تعالى وللوصول إلى حقائقه ومقاصده ولكي يستكمل هذا العلم أركانه ويتم بنيانه.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المطبوعة:

- إتقان البرهان في علوم القرآن: فضل حسن عباس(ت2011م)، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1997م.
- الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، أبو الفضل جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1974م.
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: الحموي الرومي، أبو عبدالله شهاب الدين، ياقوت بن عبدالله(ت626هـ)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414ه- 1993م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: العمادي، أبو السعود، محمد بن محمد ابن مصطفى(ت982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- الأساس في التفسير: سعيد حوى(ت1409هـ)، دار السلام، ط1، 1405ه- 1985م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: الشيباني، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبدالكريم بن عبدالواحد، عزالدين ابن الأثير(ت630هـ)،تح: علي محمد معوض ، عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م.
- أسرار إعجاز القرآن: النجار، د. جمال مصطفى، مكتبة الحسين الإسلامية القاهرة، ط1، 1417ه- 1997م.
- أسرار ترتيب القرآن: السيوطي، أبو الفضل جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر(ت911هـ)، تح: عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ط2، 1398-1978م.
- أسرار التكرار في القرآن: الكرماني، برهان الدين، أبو القاسم، محمود بن حمزة ابن نصر(ت505هـ)، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، (د.ط).

- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام (ت660هـ)، تح: محمد بن الحسن بن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1995م.
- إعجاز القرآن: الباقلاني، أبو بكر، محمد بن الطيب(ت403هـ)، تح: السيد أحمد صقر،دار المعارف-مصر، ط5، 1997م.
- إعجاز القرآن الكريم: د. فضل حسن عباس(ت2011م)، وسناء فضل عباس, جامعة القدس المفتوحة، (د.ط)، 1991م.
- الأعلام: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت1396هـ)، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل "تفسير البيضاوي": البيضاوي، أبو سعيد، عبدالله بن عمر ابن محمد الشيرازي(ت658هـ)، تح: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418ه.
- أنوار الربيع في أنواع البديع: المدني، صدر الدين ابن معصوم، علي بن أحمد(ت11120هـ)، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النجف الأشرف، ط1، 1388ه-1968م.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: الجزائري، أبو بكر، جابر بن موسى ابن عبدالقادر بن جابر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424ه-2003م.
- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، أبو المعالي، محمد بن عبدالرحمن بن عمر الشافعي(ت739هـ)، تح: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، 1419ه- 1998م.
- بحر العلوم: السمرقندي، أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي(ت373هـ)، تح: د. محمود مطرجي، دار الفكر،بيروت، (د. ط).
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: الأنجري الفاسي، أبو العباس، أحمد ابن محمد بن

المهدي بن عجيبـة(ت1224هــ)، تـح: أحمـد عبدالـلــه القـرشي رسـلان، د.حسـن عبـاس زكي- القاهرة، ط1419ه.

- البديع في البديع: العباسي، أبو العباس، عبدالـلـه بـن محمـد المعتـز باللـه ابـن المتوكـل ابـن المعتصـم ابـن الرشيد(ت296هـ)، (د.ت)، دار الجيل، ط1، 1410ه-1990م.
- البديع في نقد الشعر: الكناني، أبو المظفر، أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بـن نصر بـن منقـذ(ت584هــ)، تح: د. أحمد أحمد بدوي، والدكتور حامد عبدالمجيد، الجمهورية العربية المتحدة، (د. ط).
- بديع القرآن: المصري، بن أبي الأصبع(ت654هــ)، تـح: حنفـي محمـد شرف، نهضـة مصر للطباعـة والنشر والتوزيع، (د. ط).
- البرهــان في علــوم القــرآن: الــزركشي، أبــو عبدالـلـــه، بــدر الــدين محمــد بــن عبدالـلـــه بــن بهادر،(ت794هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عـيسى البـابي الحلبـي وشركائه، ط1، 1957م.
- بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل: الشاطبي، أبو محمد، القاسم بن فـيره بـن خلـف بــن أحمــد الرعينــي(ت590هــ)، تـأليف: عبـد الفتـاح القـاضي، الهيئـة العامـة لشـؤون المطـابع الأميرية(د.ط)، - القاهرة - 1975م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، أبو الفضل جلال الـدين، عبـدالرحمن بـن أبي بكر(ت911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، (د.ط)
- البلاغة العربية: الدمشقي، عبد الرحمن بن حسـن حبنكـة(ت1425هــ)، دار القلـم، دمشـق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416ه-1996م.
- البيان في عد آي القرآن، الداني الأموي، أبو عمرو، عثمان بن سعيد (ت444هـ)، تـح: غـانم قـدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت ط1، 1994م.

- تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، محب الدين أبو الفضل، السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي(ت1205هـ)، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1414ه-1994م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت748هـ)، تح: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: العدواني بن أبي الأصبع، عبدالعظيم بن الواحد بن ظافر (ت654هـ)، تح: د. حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة-لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د. ت).
- التحرير والتنوير، التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور(ت1393هـ)، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط1، 1420ه-2000م.
- التعريفات: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين(ت816هـ)، تح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1403ه-1983م.
- تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف(ت745هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1422ه 2001م.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الهرري، محمد الأمين بن عبدالله الأرمي العلوي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، 1421ه-2001م.
- تفسير القرآن: السمعاني، أبو مظفر، منصور بن محمد بن عبدالجبار ابن أحمد المروزي(ت489هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض-السعودية، ط1، 1418ه- 1997م.
- تفسير القرآن العظيم "تفسير ابن كثير": بن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(ت774هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420ه 1999م.
- تفسير القرآن الحكيم(تفسير المنار): القلموني الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا بن

محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين(ت1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1990م.

- تفسير المراغي: المراغي، أحمد بن مصطفى(ت1371هـ)، (د. ت)، (د. ط).
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، د. وهبة مصطفى، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418ه.
- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: الخالدي، صلاح عبد الفتاح: دار النفائس- الأردن، ط1، 1997م.
- التفسير الموضوعي لسور القران الكريم: إعداد: الكبيسي، ا.د عيادة ، ا.د احمد البدوي، ا.د عبدالله الخطيب، د.محمد عصام القضاة، وآخرون ، بإشراف ا.د مصطفى مسلم، إصدار رقم (102)، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط1، 1431ه- 2010م.
- التفسير الواضح: حجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد، بيروت، ط10، 1432ه.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط3، 1993م.
- التلخيص في علوم الإيضاح: القزويني، جلال الدين، محمد بن الشافعي الدمشقي (ت739هـ)، تح: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2009م.
- تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي، أبو الفضل جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ)، دراسة وتحقيق، عبد القادر احمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1986م.
- تهذيب اللغة: الهروي، أبو منصور، محمد بن احمد بن الأزهري (ت370هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي، عبدالرحمن بن ناصر ابن عبدالله(ت1376هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420ه-2000م.

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله احمد، د. محمد زغلول مسلم، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط3، 1967م.
- جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي(ت310هـ)، تح: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420ه -2000م.
- الجامع لأحكام القرآن"تفسير القرطبي": القرطبي، أبو عبدالله، محمد بن احمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي(ت671هـ)، تح: احمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط2، 1384ه - 1964م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم: البخاري، أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة(ت256هـ)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه.
- جمهرة اللغة: الأزدي، أبو بكر، محمد بن الحسن بن دريد(ت321هـ)،تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1-1987م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: الهاشمي احمد بن إبراهيم بن مصطفى(ت1362هـ)، تح: د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط).
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف(ت875هـ)، تح: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط1، 1418م.
- حاشية الشيخ إبراهيم البيجوري على شرح العلامة بن القاسم الغزي على متن الشيخ أبي شجاع، البيجوري الشيخ إبراهيم بن أحمد (ت1276هـ)، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط8، 2010م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب: الأزراري، بن حجة الأموي، تقي الدين أبو بكر بن علي ابن عبدالله(ت837هـ)، تح: عصام شقو، دار ومكتبة الهلال-بيروت-دار البحار-بيروت، ط2004م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي، شهاب الدين، محمود بن عبدالله الحسيني(1270هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415ه.
- الروض الداني "المعجم الصغير": الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي(ت360هـ)، تح: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي ، دار عمار، بيروت ، ط1، 1985م.
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن: ابن عقلية المكي (ت1150هـ)، مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، الأمارات العربية المتحدة، ط1، 1427ه- 2006م.
- سنن الترمذي: الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك(ت279هـ)، تح: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ط2، 1395ه- 1975م.
- سير أعلام النبلاء: الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز(ت748هـ)، تح: د. بشار عواد معروف، د. محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، ط11، 1417ه - 1996م.
- شعب الإيمان: البيهقي، أبو بكر بن الحسين(ت458هـ)، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420ه.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ابن قيم الجوزية شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد(ت751هـ)، (د.ت)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1398ه-1978م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد الفارابي(ت393هـ)، تح: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط4، 1407ه- 1987م.
- الصناعتين: الكتابة والشعر: العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران(ت395هـ)، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- بيروت، (د.ط)، 1419ه.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: السخاوي: شمس الدين أبو الخير، محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد(ت902هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).
- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة: الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة (ت1425هـ)، دار القلم، دمشق، ط10، 1430ه-2009م.
- طبقات الحفاظ: السيوطي، أبو الفضل جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر،(ت911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1403ه.
- طبقات الشافعية: ابن قاضي شهبة، أبو بكر، أحمد بن محمد بن عمر (ت851هـ)، تح: د. حافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407ه.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني (ت745هـ)، تح: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية-بيروت، ط1، 1423ه-2002م.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: السبكي، أبو حامد، أحمد بن علي بن عبد الكافي(ت773هـ)، تح: د. عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط1، 1423ه-2003م.
- علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، د. نور الدين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق، ط1، 2011م.
- غريب القرآن: الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة(ت276هـ)، تح: احمد صقر، دار الكتب العلمية، (د.ط)، 1398ه-1978م.
- الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، دار عمار-عمان، ط2، 1421ه-2000م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله اليمني(ت1250هـ)، دار بن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط1، 1414ه.
- في ظلال القرآن: الشاربي، سيد قطب إبراهيم حسن(1385هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط17، 1412ه.

- القاموس المحيط: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر، محمد بن يعقوب (ت817هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1426هـ - 2005م.
- قصص القرآن الكريم: الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس(ت2011م)، دار النفائس، الأردن، ط3، 1430ه -2010م.
- الأزهار في كشف الأسرار: السيوطي، أبو الفضل جلال الدين(ت911هـ)،تح: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية والإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1414ه-1994م.
- كتاب المجموع: النووي، أبو زكريا، محيي الدين بن شرف(ت676هـ)، تح: محمد نجيب المطيعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر الخوارزمي(ت538هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه، الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: القسطنطيني، حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي(ت1067هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ابن جماعة الشافعي شيخ الإسلام، بدر الدين محمد بن إبراهيم (ت733هـ)، تح: د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء، ط1، 1990م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت427هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1422ه-2002م.

- الكليات: الكفوي، أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، (ت1094هـ)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، 1419ه-1998م.
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: المناوي، زين الدين محمد عبدالرؤوف(ت1021هـ)، تح: محمد أديب الجادر، دار صاد، بيروت،(د. ط).
- اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، أبو حفص سراج الدين، عمر بن علي (ت775هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419ه -1998م.
- لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم جمال الدين الأنصاري(ت711هـ)، دار صاد، بيروت، ط3، 1414ه.
- لطائف الإشارات "تفسير القشيري": القشيري، عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك(ت465هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة، مصر، ط3.
- مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم، ط4، 2005م.
- مباحث في علوم القرآن: الصالح صبحي (ت1407هـ)، دار العلم للملايين-بيروت، ط10، 1977م.
- مباحث في علوم القرآن: القطان مناع بن خليل (ت1420هـ)، مكتبة المعارف، ط3، 2000م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير الشيباني، أبو الفتح، نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم، (ت637هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1420ه.
- محاسن التأويل: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق(ت1332هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418ه.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: الأندلسي، أبو محمد، عبدالحق بن غالب بن

عبدالرحمن بن تمام بن عطية(ت542هـ)، تـح: عبـد السـلام عبـد الشـافي محمـد، دار الكتـب العلمية، لبنان، ط1، 1422ه.

- المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده المرسي، أبو الحسن، علي بن إسماعيل (ت458هـ)، تح: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421ه -2000م.
- المختار في أصول السنة: البغدادي، أبو علي، الحسن بن احمد بن عبدالـلـه ابن البنـا الحنـبلي، (ت471هـ)، تح: عبد الرزاق عبد المحسن البدر، دار العلوم والحكم ، ط2 ، 1425ه.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل"تفسير النسفي": النسفي، أبو البركات، عبدالـلـه بن أحمد بـن محمود(ت710هـ)، تح: يوسف على بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419ه-1998م.
- المدخل إلى التفسير الموضوعي: د.عبد الستار فتح الـلـه سـعيد، دار التوزيـع والـنشر الإسلامية، ط1، 1406ه-1986م.
- مسند أحمد بن حنبل: الشيباني، أبو عبدالـلـه، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسـد (ت241هــ)، تـح: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1419ه-1998م.
- مسـند الـدارمي "سـنن الـدارمي": التميمـي السـمرقندي، أبـو عبدالـلــه، محمـد بـن عبدالـلــه ابـن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبدالصمد(ت255هـ) تـح: حسـين سـليم أسـد الـداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412ه -2000م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عـن العـدل إلى رسـول الـلــه صـلى الـلــه عليـه وسـلم: النيسابوري، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري(ت261هـ)، تح: محمد فـؤاد عبـدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط).
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: البقاعي، إبراهيم بن عمـر ابـن حسـن الربـاط بـن علي بن أبي بكر،(ت885هـ)، (د.ت) مكتبة المعارف- الرياض، ط1، 1987م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الفيومي، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي (ت770هـ)، (د.ت)، المكتبة العلمية-بيروت، (د. ط).
- معالم التنزيل في تفسير القرآن "تفسير البغوي": البغوي، أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي(ت510)، تح: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420ه.
- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل(ت311هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408ه- 1988.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي، أبو الفضل جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر(ت911هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1988م.
- معجم المؤلفين: الدمشقي، عمر بن رضا بن محمد راغب كحالة الدمشقي،(ت 1408هـ) مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية: د. محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405ه-1985م.
- المعجم المفصل في علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني": إعداد: الدكتورة إنعام فوال عكاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1996م.
- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، (د.ط) ،1399ه- 1979م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: الأنصاري، جمال الدين بن هشام(ت761هـ)، تح: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمدالله، دار الفكر، دمشق، (د.ط)، 1985م.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: الشربيني شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب(ت977هـ)، تح: عبد الرزاق شحود النجم، دار الفيحاء، دمشق، ط1، 1430ه-2009م.

- مفاتيح الغيب "التفسير الكبير": الرازي فخر الدين، أبو عبدالله محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين(ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3 ،1420ه.
- مفتاح العلوم: السكاكي، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي(ت626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1407ه-1987م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد(ت502هـ) تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق - بيروت، ط1، 1412ه.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني، محمد عبد العظيم(ت1367هـ)، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415ه-1995م.
- من بلاغة القرآن: د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، (د.ط)، 2005م.
- الموافقات: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي(ت790هـ)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن عفان، ط1، 1417ه-1997م.
- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: الهاشمي أحمد بن إبراهيم بن مصطفى(ت1362هـ)،تح: علاءالدين عطية، دار البيروتي، ط3، 1427ه-2006م.
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: دراز محمد عبدالله ، دار الثقافة، الدوحة،1985.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر(ت885هـ)، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2011م.
- نظم العقيان في أعيان الأعيان: السيوطي، أبو الفضل جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر(ت911هـ)، تح: فيليب حتي، المكتبة العلمية- بيروت. (د. ط)، (د. ت).
- النكت في إعجاز القرآن: "مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن": الرماني، أبو الحسن، علي بن عيسى بن علي بن عبدالله(ت386هـ)، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.

- نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب(ت733هـ)، تح: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1424ه-2004م.
- الوافي بالوفيات: الصفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك بن عبدالله(ت764هـ)، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (دط)1420ه-2000م
- الوحدة القرآنية: محمد محمود خوجة، دار كنوز أشبيليا، (د.ط)، 1431ه.
- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم: الحجازي، محمد محمود،(د.ط)، مطبعة المدني، القاهرة ،1390ه -1970م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان الإربلي، أبو العباس شمس الدين، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ)، تح: إحسان عباس، دار صاد - بيروت، ط1، 1994م.

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

- التناسب الموضوعي في القصص القرآنية: مليكة نايت لشقر: رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس، كلية آداب الرباط، 1999م.
- التناسق الموضوعي في سورة الأنفال: رسالة ماجستير للطالب: بدر إبراهيم رجاء الذيابي، بإشراف الدكتور: طه عابدين طه، جامعة أم القرى- كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، 1433ه-2012م.
- عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية(دراسة في النص الموازي): رسالة ماجستير للطالب: فرج عبد الحسيب محمد مالكي، بإشراف: الدكتور علي الأسطة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1424هـ - 2003م.
- ثالثاً: البحوث:
- الاحتباك في القرآن الكريم رؤية بلاغية: الدكتور أحمد فتحي رمضان، وعدنان عبد السلام أسعد، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد4، العدد2، 2006، وهو بحث مستل من رسالة الماجستير " الاحتباك في القرآن الكريم - دراسة بلاغية – للطالب

عدنان عبد السلام اسعد، إشراف الدكتور أحمد فتحي رمضان، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2005م.

- أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية: د. عبد الحكيم الأنيس، مجلة الأحمدية، العدد الحادي عشر، 2002م.
- وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها: رشيد الحمداوي، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثالث، 1428ه.

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

- التناسق الموضوعي في السورة القرآنية: محمد بن عمر بن سالم بازمول: موقع جامعة أم القرى:

https://uqu.edu.sa/page/ar/93190571. ookID=2&View=Page&PageNo=6&PageID=6256

- شخصية سورة الأنعام، بقلم الدكتور صلاح الخالدي من موقع مجلة الفرقان، إصدار جمعية المحافظة على القرآن الكريم =584

http://www.hoffaz.org/alforqan/details.php?id

- الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام، الدكتور: محمد بن احمد الصالح،
- مجلة البحوث الإسلامية، العدد:44، 1415ه-1416ه

http://www.alifta.net/Fatawa/fatawaDetails.aspx?languaename=ar&B.

www.ikwanwiki.com.

http://ar.wikipedia.org/wik